

المسألة من المسألة

والعقود باليونان

مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة - مصر
1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشاهد المشرفه و الوهايون

كاتب:

محمد على بن حسين همداني سنقرى كردستاني

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	المشاهد المشرفه و الوهابيون
٩	اشاره
١٠	المؤلف والكتاب
١٠	اشاره
١٣	اشاره
١٤	المؤلف
١٥	هذا الكتاب
١٧	عملنا
١٨	المقدمه
١٨	اشاره
١٩	الفرق بين الدعاء، والعباده
٢٠	حقيقه العباده
٢٠	حقيقه الشرك
٢١	منكر و الشفاعه
٢١	هاهنا مقامات
٢٢	ان مطلق الدعاء ليس عباده و لا شركا
٢٢	اشاره
٢٣	الاستغاثه بالوسائط
٢٤	ادله المنع من الاستشفاع
٢٥	الرد على ذلك
٢٥	الادله على جواز الشفاعه
٢٦	استدلال آخر لنفي الشفاعه

- ٢٧ الآيه صريحه فى إثبات الشفاعة
- ٢٧ التقرب بالأصنام
- ٢٧ الآيات المانعه عن الاستشفاع خاصه
- ٣٢ ثبوت الشفاعة فى العقيدة الإسلاميه
- ٣٢ اشاره
- ٣٣ الاجماع على الشفاعة
- ٣٤ العقل يدل على صحه الشفاعة
- ٣٦ تذبذب بين المعتزله و الأشعريه
- ٣٦ الآيات الداله على ثبوت الشفاعة
- ٣٧ الروايات الداله على ثبوت الشفاعة
- ٤١ تمويه فى إنكار الشفاعة
- ٤٢ ليست الشفاعة بشرك
- ٤٣ صور من الأدعيه المأثوره
- ٤٤ الاستشفاع بالأموات
- ٤٥ الزياره والعباده
- ٤٧ المزورون أحياء فى قبورهم
- ٥٠ دفاع الألوسى البغدادى عن الوهابيه
- ٥١ السنه والسيره فى زياره القبور
- ٥٣ ابن تيميه يعترف بمشروعيه الزياره
- ٥٤ اسلام السلفيه والوهابيه
- ٥٥ حديث لا تشد الرحال...
- ٥٦ المؤلفات فى جواز الزيارات
- ٥٦ تناقض التصرفات
- ٥٧ لا فرق بين حياه الرسول و موته فى تعظيمه

- ٥٩ تعظيم ما أمر الله، هو من عباده الله و طاعته
- ٦٢ زياره القبور سنه نبويه و غايتها
- ٦٣ بناء المشاهد والمزارات عمل شرعى
- ٦٥ كرامات الأولياء من قبورهم
- ٦٨ يفترون على المسلمين
- ٦٨ الحلف عند المسلمين
- ٧٢ فى ثبوت الأمر بالتوسلات والاستغاثات والاستشفاعات و فيه الأمر ببناء الضرائح والقباب المتعلقة بمشاهدهم
- ٧٢ توسل آدم بالنبى
- ٧٤ البيوت المرفوعه
- ٧٦ معنى رفع البيوت
- ٧٧ الوسيله إلى الله
- ٨١ التوسل بالنبى
- ٨١ تعظيم الشعائر
- ٨٣ تعظيم حرمت الله
- ٨٤ الاعتصام بحيل الله
- ٨٧ ابواب البيوت
- ٨٨ اتخاذ المساجد
- ٨٩ الوهابيون والشعائر
- ٨٩ اهداف الفرقه
- ٩٠ شبهه تسنيم القبور
- ٩١ اتخاذ القبور مساجد
- ٩٢ الصلاه فى المقابر
- ٩٤ البناء فى الأرض المسبله
- ٩٦ قبور أئمه البقيع ملك لبنى هاشم

- ٩٧ المقامات المهدومه
- ٩٩ نهب الأملاك والأموال
- ١٠٠ سفك الدماء
- ١٠١ هتك حرمة العقائد
- ١٠٢ حرمة المدينة
- ١٠٣ منع الصلاة على النبى
- ١٠٥ الله: يصلى فى القرآن على نبىه
- ١٠٦ خاتمه: من دلائل النبوه: التحذير من الفتنة
- ١٠٦ اشاره
- ١٠٦ احاديث تنبىء بالمنع عن الزياره وبالعداء للمشاهد
- ١٠٩ احاديث فى نجد و شروره
- ١١١ تعريف مركز

المشاهد المشرفه و الوهابيون

اشاره

سرشناسه : حائري، محمدعلي، ۱۳۲۶ - ۱۳۸۱.

عنوان قراردادى : كشف الشبهات .شرح

عنوان و نام پديدآور : المشاهد المشرفه و الوهابيون/ تاليف محمدعلي بن حسن الهمدانى السنقرى الكردستانى (۱۲۹۳ - ۱۳۷۸ .ق.)؛ تحقيق لجنه منلعلما؛ باشراف السيدمحمدرضا الحسينى الجلالى.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهرى : ۱۲۸ ص.

شابك : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۵۸-۲

وضيقت فهرست نويسى : فييا

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه به صورت زيرنويس.

موضوع : ابن تيميه، عبدالسلام بن عبدالله، ۵۹۰ - ۶۵۲ق. كشف الشبهات -- نقد و تفسير

موضوع : زيارت و زائران -- دفاعيه ها و رديه ها

موضوع : زيارت و زائران -- نظر وهاييه

موضوع : توسل -- دفاعيه ها و رديه ها

موضوع : توسل -- نظر وهاييه

موضوع : شفاعت (اسلام) -- دفاعيه ها و رديه ها

موضوع : شفاعت (اسلام) -- ديدگاه وهاييه

موضوع : وهاييه -- دفاعيه ها و رديه ها

شناسه افزوده : حسينى جلالى، سيدمحمدرضا، ۱۳۲۴ - ، ويراستار

شناسه افزوده : ابن تيميه، عبدالسلام بن عبدالله، ٥٩٠ - ٦٥٢ ق . كشف الشبهات. شرح

رده بندي كنگره : BP٢٢٦/٧/الف٦كك ٥٠٢١٣ ١٣٩٠

شماره كتابشناسي ملي : ٢٦٢٩٧١٠

ص : ١

المؤلف والكتاب

اشاره

ص: ٤

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب في القلوب والأبصار

القرآن الكريم، سورة النور (٢٤)، الآيتان ((٣٦-٣٧))

الطبعة الاولى ١٣٤٥ هـ

باسم: المشاهد المشرفة والوهابيون

الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ

محققه ومفهرسه

ص: ٥

المؤلف

ولد في السابع من جمادى الأولى عام ١٢٩٣، وكان والده من علماء مدينة همدان في غرب إيران، فأخذ منه ومن جمع من علماء عصره وتعلم اللغات المختلفة منها «العبرية والسريانية، عند أحد القساوسة الذي أعتق الإسلام، وهو فخر الإسلام صاحب ((أنيس الأعلام)) فكان يحاجج اليهود والنصارى، بما في كتبهم، وهدى الله جمعاً منهم إلى الإسلام على يديه وهاجر إلى المحاضر العلمي، وأخذ منها ما يروى الغله. ثم استقر في مدينه ((سنقر)) الكردستانية في إيران، لتبليغ الإسلام، فكانت له محاضر ومجالس ضخمة، وعلى يديه اهتدى جمع كثير من اصحاب المذاهب الأخرى لقوه حجته وسلامه منطقه. وتوفى في شهر محرم عام ١٣٧٨هـ في زياره له إلى العراق، له مؤلفات عديدة، نشر بعضها.

ص: ٦

هذا الكتاب

ألفه الشيخ العلامة السنقرى، لما قام اصحاب الفرقه بهدم بعض المساجد والبيوت المنسوبه إلى زوجات النبي أمهات المؤمنين وبعض الصحابه الكرام، وكذلك ما كان لأهل البيت النبوى الطاهر وقرباه، من البيوت والمشاهد والقباب التى كانت تظلل قبورهم، ويستظل بها الذين كانوا يصلون إلى هذه الأماكن لتجديد الذكرى بأصحابها. مع أن القاصدين لهذه المواضع كانوا من طوائف المسلمين والمذاهب المختلفه وكلها تجوز قصدها للتقرب إلى الله عزوجل بتجديد العهد مع الله بمشاهده تلك الأماكن التى وقعت فيها حوادث السيره النبويه، ووضعت فيها جثت شهداء الإسلام، ومع أن الفقهاء للمذاهب يجوزون زياره تلك المواضع اعتماداً على أدله الكتاب والسنة والإجماع إلا أن الدعاه حاولوا تحكيم رأيهم وفرض فتاواهم، على سائر المسلمين، ولقد قاموا بهدم تلك البيوت، على فتاوى من علمائهم. وقد ألف علماء المسلمين فى هذا كتباً قيمه، للاستدلال على بطلان تلك الفتاوى ومنها هذا الكتاب. وقد احتوى على الإجابة عن كل الأدله التى ذكرها مؤسس الفرقه وإمامها فى كتابه الموسوم ب ((كشف الشبهات)) وهو أهم كتبه فى هذا الباب. قدّم المؤلف لكتابه مقدمه قصيره، مركزاً على أهم ما قصده فى جوابه هذا. ثم بناه على مقامات ثلاثه: المقام الأول: فى أن مجرد دعاء شخص لشخص، ليس عباده من الداعى، للمدعو، فالعباده تحتاج إلى أكثر من مجرد الدعاء، وهو قصد العبوديه من الداعى والألوهيه فى المدعو: فالاستغاثه بالأنبياء والأئمه والأولياء يجعلهم وسائط إلى الله، لقربهم منه، ليس عباده لهم، بل هو عباده له، لأنه أمرنا بهذا.

ص: ٧

ومثل ذلك الاستشفاع بهؤلاء. ثم أثبت الأدلة على ثبوت الشفاعة للنبي ((صلى الله عليه وآله وسلم))، وأجاب عن أدله الوهائيه في إنكارها وكل ذلك في المقام الثاني. وأثبت أن الاستشفاع يتحقق في الحي والميت بلا- فرق، لورود ذلك في الأدعية والزيارات المأثوره، كما عليها سيره الأمة الإسلاميه، مدى العصور والقرون الأولى التي هي خير القرون، وعلى طول الأعوام المتعاقبه. ولأن الذين يزورهم المسلمون: أحياء في قبورهم يرزقون، بنص الكتاب والسنة. وفيه الرد على التفريق بين الحياه والموت في شأن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) والتوسل به. وكذا الدعوى على المسلمين كافه، بقصد الشرك وغيره من الباطل، رجماً بالغيب وافتراء وبهتاناً. وفي المقام الثالث: أتيت الأوامر الشرعيه بالتوسل والاستغاثة وزياره الأموات وبناء الضرائح والقباب. والجواب عن الشبهات بدعوى أن البناء تصرف في الأرض المسبله والوقف. وإثبات أن قباب آل البيت في البقيع، كانت ملكاً لهم، لا وقفاً مُسبلاً. والإجابة عن شبهه تسنيم القبور، وعن حرمة زياره القبور. وفيه شيء من انتهاك اولئك لحرمة الأموال والدماء عندما سيطروا على الحرمين والطائف. وفي الخاتمه: أورد المؤلف الأحاديث النبويه التي دلت على ظهور هذه الفرقة، وحدرت منها، وهي من ((دلائل النبوه ومعجزها)). إن المؤلف العلامه، عرض جميع هذه المواضيع، بشكل هادىء، ومستند وقوى، وأوجز في العرض بشكل رائع وواضح. وناقش بحجج علميه متينه، مما دل على امتلاكه لأزمه العلم والتحقيق.

ص: ٨

عملنا

وقد قمنا بإخراج الكتاب في حله حديثه، مع التعريف بالمؤلف، وتوزيع الكتاب بشكل فني، ووضع العناوين اللازمه في مواقعها بين المعقوفتين. كما قمنا بتخريج الأحاديث المهمه للتسهيل والتوثيق. وعملنا فهارس للآيات والأحاديث والألفاظ تسهيلا على المراجعين. والحمد لله على إحسانه ونسأله الرضا عنا بجلاله وإكرامه إنه ذو الجلال والإكرام. لجنة التحقيق

ص: ٩

المقدمه

اشاره

الحمد لله الذي توحيدُه في تنزيهه، وغايه معرفته في تقديسه. تفرد بالكبرياء والأحديّه، وتسربل بالعظمه والمعبوديّه. والصلاه والسلام على من اصطفاه الله واختاره واجتباها، ختم به النبوه، وحباه بالوسيله والشفاعه، فصدع بأمره في أمته، وقَرَنَ بين كتاب الله وعترته، بعد أن اختصهم بفرض المودّه واتّباع الأئمّه. محمّد وآله الذين صلّى الله عليهم وسلّم تسليمًا، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا. وبعد: فإنّي بعدما أسلفتُ شطرًا من الكلام في الجواب عمّا كان قد نسجته أوهام ابن تيميه في شبهاته، وأورده في «منهاج سنّته» فقد ظفرت اليوم برساله أخرى للمقتنى آثاره مرجع الوهابيين «محمد بن عبد الوهاب» الموسومه ب «كشف الشبهات» في التشكيك بالمتشابهات. فمحصّل الجواب عمّا نسجه بوهمه وتشكيكه في رسالته لمعنى العباده والشرك ٢ بأنّ دعاء الغير عباده له، والتوسّل به عبوديه له، منافيه لتوحيد الله والإخلاص به.

الفرق بين الدعاء، والعبادة

هو أنه لا ريب في أن مطلق الدعاء للغير ليس عبادة له ولا مطلق الاستغاثه والاستعانه به عبوديه له ؛ ضروره افتقار العباد في حاجاتهم ونيل أمورهم في عاديّاتهم، بل وفي عباديّاتهم، كما أمر الله تعالى بالتعاون على البرّ والتقوى. وكذا لا شبهه في أن مطلق الخضوع والانقياد وخفض الجناح لغيره تعالى، ليس بعباده له، ومنافيه لتوحيد الله والإخلاص له تعالى. فلو كان مطلق التعاون والاستعانات والاستغاثات والتوسّلات شَرَكًا، لكان الوهابيون بذلك أول المشركين. ولو كان مطلق الخضوع والانقياد والخفض للغير شرکًا في عباده الله، لما أمر الله تعالى به، ولكان الأمر بالسجده في قوله تعالى لملائكته: ((أَسْجُدُوا لِلآدَمِ)) أمرًا بالشرك؟! وكان لإبليس أن يعترض عليه سبحانه في ذلك، فيقول: ياربِّ لِمَ تأمرني بالسجودِ لِغَيْرِك، وهو الشرك المنافي لتوحيدك والإخلاص لك! ولكان الاستدلال بذلك أولى من استدلاله بالقياس الفاسد. ولكان إبليس بامتناعه هذا من السجده أول الموحّدين، كما زعمه جمع من الصوفيه، وقاله بعضهم في «فصوص حكمه»، وتبعه أتباعه في شروحه عليه، فالمدار على الحقائق دون الصور! فلو كان مطلق الخضوع شرکًا وعباده للغير، لكان خضوع العبيد للموالى والرعايا للرؤساء والملوك، والزوجات للأزواج والتلميذ للمعلم، كلّها خضوعًا لغير الله وشركًا به وعباده لغيره! ولم يقل به أحد، ومعه لا يقوم حجر على حجر. ولو كان ذلك شَرَكًا في عبادته، لكان تقبيل الحجر الأسود واستلامه عبادته! ولكان مسّ الأركان والتبرّك بها عبادتها!

ص: ١١

ولكان أمر الله لبنى إسرائيل فى أريحا يوم دخول القرية بالخضوع لباب حطّه. وأمر الله نبيّه بخفض الجناح لمن أتبعه من المؤمنين. وأمر الله عباده بالخفض للوالدين، والزوجه للزوج. كل ذلك أمراً بالشرك؟! ولكن يعقوب وولده بسجودهم ليوسف حين خرواله ساجدين، وكل من أولئك فى خضوعهم المأمورين به مشركين؟! وذلك لوضوح أنّ كلّ هذا إنّما هو عباده الأمر بها، لا عبادتها إيّاها. سبحان الله. ما أجهل المعترضين على الآيات، وما أغفلهم عن البينات. وما أشدّ إعراضهم عن المحكمات إلى المتشابهات.

حقيقه العباده

فليس ذلك إلاّ- لأنّ العباده ليس المراد منها معناها اللغوى أعنى مطلق الطاعه والدعاء . بل إنّما حقيقه العباده هى مجرد الطاعه والامتثال لأمر الله الواجب وجوده، العظيم لذاته ؛ ونفس الانقياد وإتباعه بكل ما أمر به دعاءً كان أو نداءً أو خضوعاً أو سجده أو توسّلاً أو استشفاعاً إلى غير ذلك، ممّا يرجع إليه بالاعتبار اللفظى أو العقلى أو العادى. وتدور العباده والشرك وجوداً وعدمًا مدار الطاعه والانقياد بقصد الامتثال والاستقلال فى المألوهيه ؛ بمعنى أنّ العباده هى ما قصد به الامتثال بداعى الأمر بها مطلقاً.

حقيقه الشرك

وأما الشرك: فهو تشريك الغير بالاستقلال فى المعبوديه، واتّخاذه دون الله أو مع الله بالألوهيه. فما هذا التمويه والمغالطه؟! وما هذا الخلط الظاهر وخبط

ص: ١٢

العشواء؟! وما أغفلهم عن كلمات الله؟! وليتهم تعلموا من إبليس ؛ حيث إنه لم ير الأمر بالسجده للغير شركاً بالله منافياً لتوحيده تعالى. بل، ودرى بها من حيث إنها مأمور بها عين توحيده وعبوديته، فلم يردّ على الله بشيء من ذلك، إلاّ باختياره عصيانه ومخالفته، وسلوكه مسلك الاستكبار بحسده وعتوه وكبره وغلوه، ولذلك طغى وعصى وتمرد وأدبر واستكبر فكفر.

منكر و الشفاعة

وأما الذين ينكرون ويجحدون ما جاء في مأثور السنّة ؛ من الاستشفاع إلى الله بالأنبياء والأولياء، فحق أن يتلى فيهم قوله تعالى: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)). فلا يُعزّتك الانتساب إلى التوحيد، ولا تلاوه آيات الله المجيد. ولا تحكّم بأول ما تراه++ فأول طالع فجر كذوب

هاهنا مقامات

الأول: بيان جواز مطلق الدعاء للغير والاستعانه بالغير، وأنها لا تكون شركاً بالله وعباده لغيره. الثاني: ثبوت الشفاعة من حيث الكبرى للشافعين من الأنبياء والمرسلين، بل وغيرهم من المؤمنين، وأنها تعم الأحوال والنشآت دنيماً أو آخره ؛ حياً كان الشفيع أو ميتاً. الثالث: ثبوتها من حيث الصغرى بالعمومات الواردة في الاستشفاعات والتوسلات ؛ كتاباً وسنّه وإجماعاً وعقلاً.

ص: ١٣

ان مطلق الدعاء ليس عباده و لا شركا

اشاره

قد ظهر ممّا تقدّم في معنى العباده والشرك ما يُعرف به فساد ما أدّعا المتكلّف. (هل الدعاء عباده؟) فقولُه: «والدعاء مُخّ العباده...» إلى آخره. تمويه في استدلاله بالمغالطه الواضحه، وما أكتفى به حتّى بنى عليها قذفه لعباد الله وموحديه بالشرك والارتداد، وسعى في خراب العباد والبلاد، فهالك فصيح الجواب عنها بالإشاره إلى موضع تمويهه: أمّا قولُه: «فإنّ الدعاء مُيخّ العباده». فمسلم، كما هو المروى عن أئمتنا سلام الله عليهم لكن هذه المغالطه غير مُجديه لدعواه، فإنّه إن جعلها صيغرى لقياسه / بأن يقول: الدعاء مُخّ العباده، وكلّ

ص: ١٤

عباده لغير الله شريك. قلنا: وهل يخفى على أحد أن قوله ذلك لا يصح منه إلا قضيه شخصيه، وهي دعاء الله، فإن دعاءه يكون مخ عباده؛ من حيث معرفته والالتجاء إليه، والاعتراف بأنه الإله الواحد القادر المطلق. وأين هذا من دعائي ولدى، وأقول: يا فلان أعطني كذا، أو توسط لي عند فلان بكذا. هذا، وإن زعم أنها كئيه؛ بمعنى: أن كل دعاء من كل أحد لكل أحد في كل عنوان، هو عباده له ومخ العباده. فهذا الزعم واضح البطلان، فلي نظر إلى أصحابه وعلمائه وأمرائه، فكم يدعو وينادي الرجل منهم غيره، ويستعين به في حوائجه في حلهم وارتحالهم، وسلمهم و حربهم، وقضائهم وسياستهم. فهل كل هذا عباده لغير الله وشريك به؟! وهل كل منهم مشركون؟!

الاستغاثه بالوسائط

وأما قوله فيما استشهد به من قول الله في سورة القصص: ((فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)). فقد دلت الآية على جواز الاستغاثه بالمخلوق في إبقاء الحياه؛ وحفظ النفس من الهلكه؛ وأول غير ذلك من الغايات، كما استشهد به هولذلك، وناقض به دعواه الأولى. وأما دعواه جواز حصرها في أمر الدنيا وفيما هو المقدر للعباد من الأحياء بزعمه وقياسه. فإنما تردّها الآيات المطلقة التي استدلت بها على دعواه؛ حسبما ادّعاها على أن مطلق الاستعانه بالغير والابتغال إليه والتضرع لديه شرك به تعالى.

ص: ١٥

على أنه يردها قوله تعالى في غير موضع من القرآن ((فَبَاذِرُوا فِي الْفُلْكِ دَعْوَا اللَّهِ مُخْلِصِينَ)). حيث دلت الآية على لزوم الدعاء إلى الله في قضاء الحاجات، والنجاة من الهلكات منه سبحانه تعالى، وأن ما عداه شريك مُنافٍ للإخلاص. وعليه يلزم التناقض بين الآيتين. ودفعه لا يكون إلا بدعوى: أن الاستعانة بالغير على وجه الاستقلال والاستبداد بإلغاء ذى الواسطة فيكون شركاً مُنافياً للعبادة والخلوص، كما تقدّم في معنى الشرك. وهذا من غير فرق بين جعل الواسطة في الأمور المتعلقة بهذه النشأة أو غيرها؛ حيث إن الشرك حرام شرعاً وقبيح عقلاً، وحكم العقل ليس قابلاً للتخصيص ولا التبعيض، وقد قبله الشرع مع اتحاد المناط في الحرمة.

ادله المنع من الاستشفاع

فدعوى المتكلف: أن الاستشفاع بغير الله شرك، مستدلاً: تاره بقوله: ((مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)). وأخرى بقوله تعالى: ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ إِزْتَضَى)). ومَرَّه بقوله تعالى في سورة سبأ: ((وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)). وتاره بقوله تعالى في سورة طه: ((يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)). وأخرى بقوله تعالى: ((مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)). إلى آخر ما استشهد به لدعواه.

ص: ١٦

الرد على ذلك

فقد يردّها: أنّ الشفاعة من المعاني النسبية القائمة بالطرفين، نظير العقود والمعاملات القائمة بالموجب والقابل، فمتى لم يرضَ المُشْفَعُ، كما لو لم يشفع الشفيع، تقع الشفاعة لغواً. فعدم الشفاعة تارة لفقد المقتضى، أعنى قابليته الشفيع للشفاعة، أو المشفَع له. أو لوجود مانع هناك؛ أعنى بلوغ المعصية إلى حدّ تمنع عنها حسبما نراه في المتعارفات الخارجيه.

الادله على جواز الشفاعة

مضافاً إلى دلالة غير واحد من الآيات عليه، مثل قوله: ((إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)) الآيه، حيث نهى الله نبيه من الشفاعة في ولده؛ لأنه قد بلغ في المعصية والمخالفة مالا تصحّ معها الشفاعة له. ومثله قوله تعالى: أمّا في المنافقين ففي موضعين من القرآن: أحدهما: في سورة البراءة: ((إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)). والأخرى: في سورة المنافقين قوله تعالى: ((سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)). وأمّا في المشركين فقوله تعالى في سورة البراءة: ((مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ))، فتأمل في قوله ((مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ)) ولا تغفل. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة المدثر: ((فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)): إنّ معناه لا شافع ولا شفاعة، فالنفي راجع إلى الموصوف والصفه معاً، والآيه من باب ((لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا)) من حيث إنّها سالبه بانتفاء الموضوع.

ص: ١٧

بل، وإذا اشتدَّ المانع تجافى الشفيح عن الشفاعة. وربما ينقلب الشفيح خصيماً، كما فى سورة نوح قوله تعالى: ((رَبِّ إِنَّكَ إِنَّ تَذَرُهُمْ يُضَيِّتُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْتَدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا))، وهذا معنى قوله: ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)) وقوله: ((مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ))، فمتى صحَّ الإذن صحَّت الشفاعة، ومتى لم يأت الإذن تقع الشفاعة لغواً، والطلب من المشفَّع له باطلاً. وهذا لا دخل له بحديث الشرك وتضمَّن بعض الآيات غايتها الداله على أنَّ العباده للشفيح بإزاء شفاعته يكون شركاً باطلاً، لا أنَّ جعل الشفيح يكون كفراً وارتداداً. بل يكون أمراً راجحاً يحكم به ضروره العقل، فضلا عن الشرع، كما سيجىء بيانه فى المقام الثانى.

استدلال آخر لنفى الشفاعة

وأما الجواب عن (استدلاله ب) قوله تعالى فى سورة مريم: ((لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)). فليس فى ظاهر الآيه أنَّ المقصود منها خصوص أنَّ المجرمين لا يملكون الشفاعة لغيرهم، أو خصوص أنَّهم لا يملكون شفاعة غيرهم لهم. لأنَّ المصدر كما يجوز ويحسن إضافته إلى الفاعل، كذلك يجوز ويحسن إضافته إلى المفعول. إلا أنَّ نقول: إنَّ حمل الآيه على الوجه الثانى أولى؛ لأنَّ حملها على الوجه الأول يجرى مجرى إيضاح الواضحات، فإنَّ كلَّ أحد يعلم أنَّ المجرمين الذين يساقون إلى جهنم ورُدّاً، لا يملكون الشفاعة لغيرهم، فتعيَّن حملها على الوجه الثانى.

ص: ١٨

الآية صريحه في إثبات الشفاعة

بل الآية صريحه في الاستدلال بها للشفاعة لأهل الكبائر لقوله تعالى: ((إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ)) فكل من اتخذ عند الرحمن عهداً بالتوحيد والإسلام أو الإيمان بالله، فهو ممن يجب أن يكون داخلاً تحت هذه الآية، فالآية بظاهرها حجة عليهم، لالهم.

التقرب بالأصنام

وأما قوله تعالى عن المشركين في سورة زمر: ((مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)). فلو ضوح أن المذمّه واللوم لم تكن على اعتقاد الشفاعة أو التقرب إلى الله زُلْفَى، بل على العبادة الحقيقيه منهم لأصنامهم، بأن لهم مع الله تعالى التصرف الاستقلالي في الأكوان، وعللوها: بأننا لا نقدر على عباده الله، فنكتفى بعباده هؤلاء الأصنام.

الآيات المانعه عن الاستشفاع خاصه

وأما الجواب عن (الاستدلال ب) سائر الآيات كلها: أنها مختصه بالكفار؛ جمعاً بينها وبين الأذله. فإنها بين ما سيقت لذلك، ولدفع توهم الاستقلال بالشفاعة، مع بيان عظمه الله وكبريائه، وأنه لا يُدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريد شفاعه وضراعه؛ فضلاً عن أن يدافعه عناداً أو مناصبه. كما في قوله تعالى: ((مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)). فالآية مثبتة للشفاعة، و نظيرها الآيات السابقه التي استدلل بها المتكلف. وتؤكد لها الاستثناءات الكاشفه عن ثبوتها. قال الرازي في قوله تعالى: ((مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ)): استفهام معناه الإنكار

ص: ١٩

والنفي، أى لا يشفع عنده أحد إلا بأمره، وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم، وقد أخبر الله عنهم: أنهم يقولون: هؤلاء شفعاؤنا، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. فأخبر الله أنه لا شفاعة عنده لأحد إلا من استثناه الله بقوله: ((إلا بإذنه)). ونظيره قوله فى سورة النبأ: ((يَوْمَ يُقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صِيْفًا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا)) إنتهى. وفى سورة النجم: ((وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَأَتُعْنِيَ شَفَاعَتُهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)). وبين ما نزلت ردًّا للمشركين من عبده الأصنام، ورغماً عما كانوا يزعمونه من الشفاعة لآلهتهم. كما فى سورة بنى إسرائيل: ((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا)). وكما فى سورة السبأ فى قوله تعالى: ((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)) إلى قوله: ((وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا)). وكما فى قوله تعالى فى سورة الزمر: ((أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ - قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ)). والعجب من المتكلف حيث أعجبه التمسك بهذه الآيه فى منع الاستشفاعات فى غير موضع من كتابه. وهى كما ترى، والمغالطه فى إسقاطهم لصدر الآيه كما عرفت. ومثلها ما فى سورة يونس: ((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)). وفى سورة الروم: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْبِئُ السَّاعَةَ الْمُجْرِمُونَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ

ص: ٢٠

شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ)). وفي سورة الأعراف: ((يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا)). وفي سورة الكهف: ((وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا)). وفي سورة الأنعام: ((وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةِ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ...)) إلى قوله: ((وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنََّّهُمْ شُرَكَاءُ)) إلى غيرها فانها صريحه وافية للمقام. وبين ما سيقى للرد على مقاله اليهود ; حيث قالوا: نحن أبناء الأنبياء، وآباؤنا يشفعون لنا. فأجابهم الله بقوله تعالى في سورة البقرة: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)). وقال تعالى في هذه السورة: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)). قال المفسرون: إن حكم هذه الآيات مختص باليهود ; حيث قالوا: نحن أبناء الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا، فأيسهم الله من ذلك، فخرج الكلام مخرج العموم، والمراد به الخصوص. أقول: وهب أن العبره بعموم اللفظ لا بخصوصية السبب، إلا أن تخصيص مثل هذا العام بمثل هذا السبب المخصوص، مما يكفى فيه أدنى دليل ; وكيف بالدلائل القطعية القائمة للشفاعة؟! فيخص بها قطعاً. فسقط الاستدلال بالنكره في سياق النفي تاره. وبعدم الانتصار أخرى.

ص: ٢١

وبعدم إجزاء نفس عن نفس ثالثه. وهكذا الكلام في نظائرها. وبين ما سيقى لبيان شدّة الموقف وأهواله، وأنه يومئذ لا ينفك الكفار بيعهم وختهم وشفاعتهم بعضهم في دفع العذاب عن خليله أو مولاه: مثل ما فى سورة الدخان قوله تعالى: ((يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ)). وقوله فى سورة البقرة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ)). قال الرازى: لما قال: ((وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ)) أوهم ذلك أى الخلة والشفاعة مطلقاً فذكر تعالى عقيبه: ((وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) ليدل على أن ذلك النفى مختص بالكافرين، وعلى هذا التقدير تكون الآية داله على إثبات الشفاعة فى حق الفساق. وبين ما لبيان أن الشفاعة الثابتة مختصه بالمرضىين: كقوله تعالى فى سورة طه ((يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)). وقوله تعالى: ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)) أى لمن ارتضى الله دينه، وسيأتى بيانه. أو لبيان أن المجرمين غير قادرين على الشفاعة إذ لا يملكونها: كما فى سورة مريم قوله تعالى: ((وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا - لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ)) ألا تنظر إلى قوله بعده: ((إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)) إلى غير ذلك.

ص: ٢٢

صفحه فارغه

ثبوت الشفاعة في العقيدة الإسلامية

إشارة

أعلم: أن الشفاعة أن يستوهد أحد لأحد شيئاً، ويطلب له حاجه، وأصلها من الشفع الذي هو ضدّ الوتر، كأنّ صاحب الحاجه كان فرداً، فصار الشفيع له شفعاً، أي صاراً زوجاً. وقد أجمع المسلمون كآفه على ثبوت الشفاعة، خلافاً للخوارج وبعض المعتزله، حيث خصّوها بزياده المنافع للمؤمنين ورفع درجات المشويين والمستحقين. مع ضروره حكم العقل بحسن العفو عن الكبائر وصریح المُحكّمات من الكتاب والسُّنه، كما سيجيء ذكرها. مع ما عرفت من الجواب عمّا تمسكك به المانع المتكلّف من المتشابهات.

الإجماع على الشفاعة

ولو لم يقر الإجماع على ثبوتها بهذا المعنى، وكانت الشفاعة بحيث يصح إطلاقها على مجرد طلب الزيادة، لكننا شافعين للرسول بقولنا: «اللهم صل على محمد وآل محمد». ضروره أننا لم نطلب له ((صلى الله عليه وآله وسلم)) إلا الزيادة في فضله. وحيث بطل هذا القسم تعين الثاني. لا- يقال: إن ذلك إنما كان لوضوح علو رتبة الشفيع على المشفوع له وانحطاطهم عنه، وإن غرض السائل من الصلوات هو التقرب بذلك إلى المسؤول؛ وإن لم يستحق المسؤول له بذلك السؤال منفعه زائده. فإننا نقول: إن الرتبة غير معتبره في الشفاعة، ويدل عليه لفظ الشفيع المشتق من الشفع. على أننا، وإن قطعنا أن الله يكرم رسوله ويعظمه؛ سواء سألت الأمة ذلك أو لم تسأله، ولكننا لم نقطع بأنه لا يجوز أن يزيد في إكرامه بسبب سؤال الأمة؛ على وجه لولا سؤالهم لما حصلت الزيادة، ومع جواز هذا الاحتمال وجب أن يبقى جواز كوننا شافعين للنبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)). قال العلامة القوشجي: اتفق المسلمون في ثبوت الشفاعة؛ لقوله تعالى: ((عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَبْعَثَكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا))، وفُسِّر بالشفاعة. قال: ثم اختلفوا: فذهب المعتزلة إلى أنها زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب. وأبطله المصنف: بأن الشفاعة لو كانت كذلك لكاننا شافعين للنبي؛ لأننا نطلب زيادة المنافع له. والتالي باطل؛ لأن الشفيع أعلى رتبة من المشفوع له. إنتهى.

ص: ٢٥

وقال العلامة في «البحار» في ما حكاه عن النووى في «شرح صحيح مسلم» (١): إنه قال: قال القاضى عياض: مذهب أهل السنّة جواز الشفاعة عقلا. ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق ((عليه السلام))، وجاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحّة الشفاعة لمذنبى المؤمنين، وأجمع السلف ومن بعدهم من أهل السنّة عليها. ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلّقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار، واحتجّوا بقوله تعالى: ((فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)) وأمثاله، وهى فى الكفّار. وأمّا تأويلهم أحاديث الشفاعة وغيرها فهى صريحه فى بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار. انتهى.

العقل يدل على صحة الشفاعة

وأما العقل فقد قالت الفلاسفة فى هذا المقام: إن واجب الوجود عامّ الفيض تامّ الجود، فحيث لا تحصل الشفاعة فإنما هو لعدم كون القابل مستعداً، ومن الجائر أن لا يكون مستعداً لقبول ذلك الفيض من شىء قبله عن واجب الوجود، فيكون ذلك الشىء كالمتوسّط بين واجب الوجود وبين ذلك الشىء الأوّل. ومثاله فى المحسوس أن الشمس لا تضىء إلاّ للقابل المقابل، وسقف البيت لما لم يكن مقابلاً لجِزْمِ الشمس، فلا جرّم لم يكن فيه استعداد لقبول النور عن الشمس، إلاّ أنّه إذا وضع طشت مملوّ من الماء الصافى، ووقع عليه ضوء الشمس، أنعكس ذلك الضوء من ذلك الماء إلى السقف، فيكون ذلك الماء الصافى متوسّطاً فى وصول

١- شرح صحيح مسلم، للنووى ٣/٣٥ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحّدين من النار.

ص: ٢٦

النور من قُرس الشمس إلى السقف الذى غير مقابل للشمس. وأرواح الأنبياء والأوصياء والصالحين، كالوسائط بين واجب الوجود وبين الخلق. والتحقيق: أن المعصية ليست بما هي علة للتعذيب والخلود، وإنما هي المقتضى له لولا-المانع؛ من الاستشفاعات المنصوبه من الله الرؤوف المالك للشفاعة. كما يشهد به الكتاب والسنة وبداهه حكم العقل مع قرينه شدة الرأفة والرحمة منه تعالى. ولذلك فرق الشارع بين نية الحسنه ونية السيئه فى الاستحقاق وعدمه، مع أنّهما فى الاقتضاء سواء؛ سبقت رحمته غضبه. فقد ظهر: أن الحديثين إنما سيقا لبيان الاقتضاء: أما الأول: فبدليل قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) فى النبوى: ((لو لم ترسلوا عليها ناراً فتحرقوها)). أما الثانى: فبضروره ما فى السباق من احتمال العثرات، وصريح ما ورد فى الحِط من الآيات والعمومات، النافيه لاستحقاق العقوبه على نية السيئات، وأنها لا تكتب مالم يتلبس بها. وبالجملة: فلو لم تكن المعاصى مقتضيات لما كان النادم عليها ماحياً لها تائباً عنها، كما صح: أن ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)). وقوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((من سرته حسنته وسأته سيئته فهو مؤمن)). وذلك لوضوح أن من ساءته سيئته، فهو النادم منها التائب عنها الماحى لها، ومعه فلا-عزوّ ولا-عجب أن يجعل الله الأمر بالموذّه والتمسك والتوسيل بذوى القربى من أهل بيت رسوله، مانعاً لتأثير المعصيه، شافعاً فيها، توبه عنها، ماحياً لها، وإن رغم الراغمون، وخسر هنالك المبطلون.

تذبذب بين المعتزلة و الأشعرية

وليت شعري، ولا- يكاد ينقضى تعجبي، من هؤلاء الإخوان، وما أدري أنهم في إنكارهم للشفاعة أشعريه أم معتزله، وبأيهما اقتدوا؟ وبأي ديانه دانوا فتديتوا؟ فإن كانوا في الأصول أشعريه فقد عرفت أن مذهبهم على ثبوتها وإثباتها. وإلا فيرد عليهم ما يرد على المعتزله من المناقضة لأصلهم، فإن من قال بقاعده التقيح والتحسين، فقد التزم في المسأله موافقه الأشعريين، فظهر أنهم دانوا بالشفاعة من حيث لا يشعرون.

الآيات الداله على ثبوت الشفاعة

وأما الآيات: فقد قال الله تعالى في سورة الإسراء: ((عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَبْعَثَكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)). وقال في سورة الضحى: ((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ)). وقال في سورة المؤمن: ((الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ - رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آيَاتِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)). وقال تعالى في سورة يوسف حاكياً مقاله الأسباط: ((قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)) إلى قوله: ((سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ)). وقال تعالى في سورة النساء: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)). وقال تعالى في حكايته عن عيسى ((عليه السلام)): ((إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ

ص: ٢٨

فَبِإِنِّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)). وقال تعالى حكاية عن إبراهيم: ((فَمَنْ تَبِعَنِي فَبِإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَبِإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)). فقد دلت الآيات كغيرها على ثبوت الشفاعة لنبينا خاصه وللملائكة والنبين والأولياء والصالحين عامه وشفاعة القرآن أيضاً. حيث لا يجوز حمل هذه الآيات على الكافر، فإنه ليس أهلاً للمغفرة بالإجماع. ولا يجوز حمله على صاحب الصغيره. ولا على صاحب الكبيره بعد التوبه؛ لأن غفرانه لهم واجب عقلاً عند الخصم، فلا حازه له إلى الشفاعة. فلم يبق حمله إلا على صاحب الكبيره قبل التوبه.

الروايات الداله على ثبوت الشفاعة

ويؤيد ذلك: ما رواه الرازي عن البيهقي: ((أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)) لما تلا هاتين الآيتين رفع يديه، وقال: إلهي أمتي وأمتي، وبكى، فقال الله: يا جبرائيل إذهب إلى محمد وربك أعلم فسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبرائيل، وسأله فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) بما قال، فقال الله: يا جبرائيل إذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك)) (١). وقوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) في الصحيح: ((إدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) (٢).

١- التفسير الكبير للرازي.

٢- مجمع الزوائد ٧/٥، مسند أحمد ٢/٣١٣ و ٣/٢٠ بلفظ أخرت، ولاحظ سنن ابن ماجه ٢/١٤٤١، والترمذي ٤/٤٥، والحاكم في المستدرک ١/٦٩ و ٢/٣٨٢.

ص: ٢٩

وقوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((وأعطيت الشفاعة)) رواه البخارى (١). وصح أيضاً عنه فيما أخرجه بإسناده عن عمران بن حصين، قال: ((يخرج من النار بشفاعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) فيدخلون الجنة، ويسمّون الجهنميين)) (٢) إلى غير ذلك. وقال الرازى فى قوله تعالى: ((وَاسْتَعْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ)) إجلالاً له حيث أكرمه بوحيه، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك فإن الله لا يردّ شفاعته، فكانت الفائده فى العدول عن لفظ الخطاب إلى الغيبه ما ذكرناه (٣). أقول: ومثلها فى الدلاله قوله: ((الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ)) فإنّ هذه الآيه نصّ صريح فى المدعى، ولا سيما بقرينه ذكر الاستغفار الملازم لإسقاط العقاب وذكر ((الذين آمنوا)) و((الذين تابوا)) إلى غير ذلك. والمناقشه فيها: بأن قيد التوبه وأتباع السبيل مما هى قرينه على ثبوت الشفاعة بالمعنى الخاصّ وصرّفها عن عموم الدعوى لأنّ التائب والمتبع للسبيل لا يفتقران إلى الشفاعة بالمعنى العامّ. مدفوعه: بالنقض بقيد المغفره الظاهره فى معنى الحطّ والستر للذنوب، وحلاً: بأنّ القيد هنا من باب ذكر بعض أفراد العامّ وأقسامه، فلا يخصّص العامّ بها، وهذا ثابت فى علم أصول الفقه. ثم يدلّ أيضاً على ثبوت الشفاعة للملائكه قوله تعالى فى صفتهم فى سورة الأنبياء: ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)).

- ١- صحيح البخارى ١/١١٣ و ٢١١، وصحيح مسلم ٢/٦٣، وسنن النسائى ١/٢١١، والدارمى ١/٣٢٣، ومسند أحمد ٤/٤٣٤.
- ٢- صحيح البخارى ٧/٢٠٢ و ٢٠٣ الرقاق، وصحيح مسلم ١/١٢٣ الإيمان، والترمذى ٤/١١٤، وسنن ابن ماجه ٢/١٤٤٣ الزهد، ومسند أحمد ٤/٤٣٤، وراجع مجمع الزوائد للهيثمى ١٠/٣٧٩، وكنز العمال ١٤/٤٠٨ و ٥٠٦ و ٥١٣ و ٥٤١.
- ٣- التفسير الكبير للفخر الرازى.

ص: ٣٠

ووجه الاستدلال: أن صاحب الكبيره هو المرتضى عند الله بحسب إيمانه وتوحيده، وكل من صدق عليه أنه المرتضى عند الله بهذا الوصف وجب أن يكون من أهل الشفاعة، فإن الاستثناء من النفي إثبات. وإذا ثبت أن صاحب الكبيره داخل في شفاعه الملائكه، وجب دخوله في شفاعه الأنبياء وشفاعه نبينا محمد ((صلى الله عليه وآله وسلم)) بعدم القول بالفصل. ((لا يقال:)) إن صاحب الكبيره فاسق، والفسق ليس بمرتضى بحسب فسقه وعصيانه. لأننا نقول: قد تبين في العلوم المنطقيه أن المهملتين لا تتناقضان، فالمرتضى بحسب إيمانه لا ينافيه عدمه بحسب فسقه. وقال الرازي: اعلم أن هذه الآيه أقوى الدلائل لنا في إثبات الشفاعه لأهل الكبائر. وتقريره: هو أنه من قال: «لا إله إلا الله» فقد ارتضاه في ذلك، ومتى صدق عليه أنه ارتضاه الله في ذلك فقد صدق عليه أنه ارتضاه الله، لأن المركب متى صدق فقد صدق لا محاله كل واحد من أجزائه، وإذا ثبت أن الله قد ارتضاه وجب اندراجه تحت هذه الآيه. وقال في قوله تعالى: ((فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ))، كما نرى في المؤمنين لهم شفاعة من الملائكه والنبين. ثم قال: احتج أصحابنا بمفهوم هذه الآيه، وقالوا: إن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين. وفي تفسير آخر: فما تنفعهم شفاعة الشافعين كما نفعت للموحدين. وقال في قوله تعالى: ((عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)): قال الواحدى: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعه كما قال النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) في

ص: ٣١

هذه الآية ((هو المقام الذى أشفع فيه لأمتي)). ثم أخذ فى بيان وجوه الاستدلال بها، وتضعيف ما فسره البعض بأرائهم. ورواه أبو السعود فى تفسيره عن أبى هريره. وقال فى قوله تعالى: ((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)). عن تفسير وكيع قال: ولسوف يُشَفِّعُكَ، يا محمّد، يوم القيامة فى جميع أهل بيتك وفى أمتك، وتدخلهم الجنّة ترضى بذلك عن ربك. وعن فردوس الديلمى قال: الشفعاء خمسة: القرآن والرحم والأمانه ونبيتكم وأهل بيت نبيكم. والعلامة أبو السعود فى تفسيره عن سعيد بن جبیر قال: يدخل المؤمن الجنّة فيقول: أين أبى وولدى؟ وأين زوجى؟ فيقال له: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنتُ أعمل لى ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنّة بشفاعته وسبق الوعد بالإدخال. ثم قال فى الجواب عن شبهه هؤلاء: والإدخال لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار، وعليه مبنى من قال: إن فائده الاستغفار زياده الكرامه والثواب، والأول هو الأولى، لأنّ الدعاء بالإدخال فيه صريح، وفى الثانى ضمنى، إنتهى كلامه. وعن بشر بن ذريح البصرى، عن محمّد بن على (عليهما السلام) فى قوله تعالى: ((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)) قال: قال: ((الشفاعة، والله الشفاعة، والله الشفاعة)). وقال الرازى فى هذه الآية: يعنى به الشفاعة تعظيماً لنبه. قال: عن على بن أبى طالب (عليه السلام) وابن عباس: إنّ هذا لهو الشفاعة فى الآية. يروى أنّه لما نزلت الآية قال ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((إذن لا أرضى وواحد من أمتى فى النار)). ثم قال: واعلم أنّ الحمل على الشفاعة متعين، ويدلّ عليه وجوه ذكرها هناك (١).

ص: ٣٢

وفى «النهاية» لابن الأثير قال فى ترجمه «وفا» من فى حدیث أنس: ((شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى حتى حكم وحاء)) (١) قال: وهما قبيلتان جافيتان من وراء رمل يبرئين، ومثله قال فى ترجمه «حكّم». وفى مرفوعه جابر عنه ((صلى الله عليه وآله وسلم)) فى حدیث له أنه قال: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وفى ظلال الرحمن يوم لا ظلّ إلا ظلّه ولا فخر، ما بال قوم يزعمون أنّ رحمتى لا ينفع، بل حتى يبلغ حانكم أتى لأشفع فأشفع)) الخبر إلى قوله: ((حتى إنّ إبليس ليتناول طمعاً فى الشفاعة)) (٢). وعن عبدالله بن عباس عن النبىّ أنّه قال: ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفّعهم الله فيه (٣). إلى غير ذلك من الآيات والروايات فى إثبات عموم الشفاعة بما ورد من أعيان علماء السنّة والجماعة ومفسّريهم، ما لا يحتمله هذا المختصر، فليراجع المطوّلات.

تمويه فى إنكار الشفاعة

وبعد ما أسلفناه وما سيأتى فى معنى الاستشفاع بالأولياء، فلا يصغى إلى شىء مما تكلف به محمد بن عبد الوهاب فى رسالته من التمويه والمغالطة تبعاً لإماميه ابن القيم وابن تيمية بقوله: فإن قال: إنّ النبىّ أعطى الشفاعة وأطلبه مما أعطاه الله.

١- انظر كنز العمال ١٤/٤١٢.

٢- مجمع الزوائد ١٠/٣٧٦ و ٣٨٠ عن الطبرانى فى الأوسط.

٣- مسلم ٣/٥٣، والترمذى ٢/٢٤٧، وابن ماجه ١/٤٧٧، والنسائى ٤/٧٥، مسند أحمد ٣/٦٦، كلهم فى الجنائز، وانظر كنز العمال ١٥/٥٨١، ومجمع الزوائد ٥/٢٩٢.

ص: ٣٣

فالجواب: إن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا ؛ يعني به الشرك، وقال ((فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)). فإن كنت تدعو الله أن يشفعه فيك فأطعه في قوله: ((فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)). وأيضاً فإن الشفاعة أعطاهها غير النبي، فصَحَّ أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟! فإن قلت هذا، رجعت إلى عباده الصالحين. أقول: أعلم أن موضع المغالطة من كلامه، هو أنه زعم أن الشفاعة هي شفيع الغير مع الله في المسألة والدعوه لقضاء الحوائج. ولم يَدْرِ المسكين أن الشفاعة كما مرَّ تعريفها في صدر المقام هو شفيع الغير وضَمَّه مع المستشفع للذهاب إلى الله وتوجَّههما معاً إليه سبحانه، ودعاؤنا الشفيع دعوته لذلك، لا ما توهمه المغالط.

ليست الشفاعة بشرك

وبعدما ثبتت الشفاعة إجمالاً وتفصيلاً، كتاباً وسنّه، إجماعاً وعقلاً، حيثُ كان الشفيع أو مَيِّتاً، فقد علم بالضرورة من الشريعة: أنها ليست بشرك. وأن الاستشفاعات والتوسّلات لا- تنافي شيئاً من التوحيد ولا الإخلاص. وأن دعاء الصالحين والالتماس منهم إنما هو لكي يدعو الله للعباد بالرحمة والمغفرة، فليس من الدعاء المنهَى عنه. وإنما الدعاء المنهَى عنه في قوله تعالى: ((فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)) هو أن العبد يقرن الصالحين بالله في دعائه، ويسألهم معاً في عرض واحد، وذلك بقريته لفظ «مع»، وكما هو معنى الشرك والتشريك في العبادة، فإن الإشراك هنا وضع

ص: ٣٤

المعبوديه في غير الله. كما في قوله: ((يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)). وقوله تعالى عن إبليس: ((إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ)). قال الرازي: أي بإشراككم إياي مع الله في الطاعة. وقوله تعالى عن موسى: ((وَأَشْرِكُهُ فِي آخِرِي)). بجعله شريكاً له معه في النبوه. وأمياً إذا لم يكن سؤاله حقيقه إلا من الله، ولم يكن له النظر مستقلاً إلا إليه تعالى دون غيره، فيدعو الله ويسأله بوجهه نبيه، فهذا ليس من الشرك في شيء. يفصح منه لفظ الشرك المشتق من مادّه الإشراك بجعل الشريكين على نمط واحد. فلو سأل العبد النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) أن يغفر له ذنبه، أو سأل النبي مع الله بقوله: يا الله ويا نبي الله أغفرا لي ذنبي، كان ذلك شركاً منه. وأمياً لو سأل أن يسأل الله غفران ذنبه، فهذا من غفران الذنب الموعود من الله بالشفاعه، والسؤال منه تعالى، لا من النبي. وإنما المسؤول من النبي التماس دعائه من الله تعالى ليسأله بوجهه.

صور من الأدعية المأثورة

وهذه دعواتنا المأثوره عن الأئمة ((عليهم السلام))، حيث نقول: ((اللهم إن كانت الذنوب والخطايا قد أخلقت وجهي، فإنني أسألك بوجه حبيبيك محمد)). وفي الدعاء عند النوافل الليلي: ((اللهم إنني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمد)) ((صلى الله عليه وآله وسلم))، وأقدمهم بين يدي

ص: ٣٥

حوائجى فى الدنيا والآخرة، فاجعلنى بهم عندك وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقرّبين. أَللّهُمَّ أرحمنى بهم، ولا تعذبنى بهم...))
 الدعاء. فليس المراد بالاستغاثات والتوسّيلات إلّا طلب الدعاء من المستغاث، كما فى قوله عزّوجلّ فى القدسيّات: ((يا موسى أدعنى بلسان لم تعصني به، فقال: يا ربّ وأين ذلك؟ فقال: بلسان الغير)). وأيضاً، فإنّ بنى إسرائيل قد دعوا الله بلسان نبيهم فى مواضع من القرآن؛ حيث حكى الله عنهم فى قوله تعالى: ((لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ)) الآيات. فأنصف وراجع. أين هذا من دعاء الغير أو شركه الغير مع الله فى الدعاء؟! سُبْحَانَكَ إِنَّ هَذَا إِلَّا بَهْتَانٌ عَظِيمٌ. وكيف كان، فقد عرفت أنّ الآيات والروايات لا تدلّ على النهى بشيء من ذلك كلّ، بل الآيات على خلافه كما عرفت.

الاستشفاع بالأموات

ثمّ، ومن أوهم المناقشات والشفاعات والتوسّيلات، هو المناقشه فى جوازها بعد موت الشفيع. وذلك لثبوت جوازها مطلقاً؛ من غير فرق بين النشآت. بعد صريح عبارته فى رسالته بشفاعه الملائكة والأولياء والأفراط. وصريح الآيات بحياتهم المستقرّه بعد موتهم. ومع اتّحاد المناط فى الغايات.

ص: ٣٦

وحكم العقل بحسن الواسطه من غير تخصيص ولا- تبعض. وبالجملة: فقد أظن الوهاية في شبهه العابد بالمعبود، وشبهه الزياره بالعباده، حتى صاروا بجمودهم وخضوعهم لشبهتهم هذه، كأنهم آله هدم الإسلام باسم الإسلام. قد أوضحنا الجواب عن الأولى.

الزيارة والعبادة

وأما الثانية: فأما قوله فيما نسجه: «ونحن أنكرنا استغاثه العباده التي يفعلونها عند قبور الأولياء التي لا يقدر عليها إلا الله...» إلى قوله: «وأما بعد موته يعنى به النبي فحاشا إثمهم ما سألوه عند قبره، بل أنكر السلف...» إلى آخر كلماته. فأقول: وليت شعري ما هذا النكير؟! وما قياس الأنبياء والشهداء المصريح بحياتهم المستقره في القرآن بسائر الموتى؟! وما معنى إضافه الاستغاثه إلى العباده؟! وما المانع من الاستغاثه عند قبور الأولياء؟! وما المراد بقوله: «لا يقدر عليها إلا الله»؟! وما هذا الخبط؟! ثم وما هذا التحاشي والخلط ودعوى الإنكار؟ أفعلى عمد تركوا كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم؟ فإن كان المانع منها هو شبهه الشرك، فقد عرفت فساده بما لا مزيد عليه.

ص: ٣٧

وقد تقدّم أن الساعى لحاجه إخوانه عند باب مولاه لا يرتفع عن مقام العبوديه بشىء. فليست الشفاعة والاستشفاع إلاّ قسماً من الدعاء الشامل لجميع الناس، واختصاص الأولياء والخواصّ بها باعتبار قبولها. وقد ورد فى باب زياره النبى كما عن حُجّه الإسلام الغزالي قال: «ثمّ ترجع وتقف عند رأس رسول الله بين القبر والأسطوانه اليوم وتستقبل القبله...» إلى قوله: «ثمّ تقول: ((اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ.. ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ وَأَسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)). اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ، وَأَطَعْنَا أَمْرَكَ، وَقَصَدْنَا نَبِيَّكَ مُتَشَفِّعِينَ بِكَ إِلَيْكَ فِي ذُنُوبِنَا وَمَا أَثْقَلَ ظَهْرُنَا مِنْ أَوْزَارِنَا، تَائِبِينَ مِنْ زَلَلِنَا...))» إلى قوله: ((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ قَبْرِ نَبِيِّكَ وَمِنْ حَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)). ومعاذ الله أن يرفع المسلمون أحداً من هؤلاء المَزُورين عن مقام العبوديه، أو يذكروهم فى الدعاء بغير الاستشفاع والتوسيل. فأين وصمه الشرك؟! ثم وما حديث التبعض والتخصيص؟! وهل ظفر المتكلف بعد ما تقدّم فى الشفاعات والتوسلات بآيه أو روايه تخصّص بها العمومات، أو تقيدها المطلقات؟ أو يناقض بها ما صرح به من قبل بقوله: «فصَحَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ»؟! وليت شعري، فإن كان المناط فى الشرك هو مجرد التوسل بالغير والاستشفاع به. فهو الموجود عيناً فى الآخرة، كما ورد أن الناس يسألونهم الشفاعة يوم

ص: ٣٨

القيامة، فيشفعون لهم عند الله، فيشفعون فيهم. وإذا كانت المسألة والتوسل موجوداً في النشأتين، والمناطق قائم في المقامين. فمن أين جاءت هذه الخصوصية؟! على أنه يلزم منه أن يكون الباطل بما هو باطل ينقلب في الآخره حقاً، والحق بما هو حق يكون في الدنيا باطلاً وشركاً. وهذا هو التناقض البين وصريح الانقلاب المحال.

المزورون أحياء في قبورهم

وإن كان المانع منهما هو الموت فقد أثبت محكم القرآن حياتهم المستقره حياءً مخصوصه بهم، فيسمعون ويعقلون ويعرفون من يخاطبهم. ولا- غرو في الحياه بعد الموت مع الإقرار بعموم قدرته تعالى، فجاعل الروح في النطفه يضعها في التراب وحيث يشاء. فلو كان خطاب الموتى ممّا يوجب عند الجاهل عبثاً، فلا يوجب كفرةً وشركاً. وبالجملة: فإطلاق الموت وخصوصيه كيفيه عود الأجسام المختصه بالقيامة، ممّا لا- ينافي شىء منها لحياتهم المستقره الثابته لهم بعد الموت. وعليه اعتقاد أعظم المحققين من علماء السنّه والجماعه. ويعاضده الأحاديث المعبره كما لا يخفى. وكما في تفسير قوله تعالى: ((وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا)). وكان الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي شيخ الشافعي يقول: إن الأنبياء لا تبلى أجسادهم، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، ولقد التقى نبينا مع إبراهيم وموسى بن عمران. وقال الرازي في قوله تعالى: ((بَلْ أَحْيَاءُ)):

ص: ٣٩

«إنهم في الوقت أحياء كان الله أحياءهم لإيصال الثواب إليهم، وهذا قول أكثر المفسرين». ثم أخذ يستدل على حياتهم المستقره بوجوه، سادسها: زياره قبور الشهداء وتعظيمها إنتهى. على أنهم يسمعون السلام، ويفهمون الكلام. وأن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) يبلغه صلوات المصلين عليه، ويسمعهم، وهو يعلم بهم وبمقامهم، كما ورد في الصحاح: منها: ما عن سنن أبي داود، رواه عن أبي هريره قال: قال ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أردد السلام)) (١). وعن صحيح النسائي عنه ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قال: ((إن الله ملائكه في الأرض يبلغونى من أمتى السلام)) (٢). وفي مرفوعه ابن عباس عنه ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قال: ((أكثروا على من الصلاه يوم الجمعة، فإن صلواتكم معروضه على... إلى قوله: فإن الله حرم على الأرض لحوم الأنبياء)) (٣). وفي حديث آخر صح عنه قال: ((علمى بعد مماتى كعلمى فى حياتى)) (٤). وفى آخر قال: ((إن الله وكل ملكاً يسمعنى أقوال الخلائق، يقوم على قبرى،

- ١- السنن الكبرى للبيهقى ٥/٢٤٥ باب زياره قبر النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم))، ومجمع الزوائد للهيثمى ١٠/١٦٢ عن الطبرانى فى الأوسط، وكنز العمال ١/٤٩١ عن أبي داود.
- ٢- سنن النسائي ٣/٤٣ فى نوع آخر من التشهد.
- ٣- سنن النسائي ٣/٩١، وسنن الدارمى ١/٣٦٩، وسنن ابن ماجه ١/٣٤٥ و ٥٢٤، ومستدرک الحاكم ١/٢٧٨ و ٤/٥٦٠، والسنن الكبرى للبيهقى ٣/٢٤٩، وكنز العمال ١/٤٩٩ و ٧/٧٠٨.
- ٤- لم أجده، لكن فى مجمع الزوائد ٤/٢: من حج، فزار قبرى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى، رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط.

ص: ٤٠

فلا يصلى على أحد إلا قال: يا محمد إن فلان بن فلان يصلى عليك، صلوا على حيشما كنتم، فإن صلواتكم تبلغنى)) (١). كما فى المروى عن الدارقطنى فى السنن عنه ((صلى الله عليه وآله وسلم)) أنه قال: ((من زار قبرى وجبت له شفاعتى)) (٢). وعن ابن عمر مرفوعاً عنه أنه قال: ((من جاءنى زائراً ليس له حاجة إلا زيارتى، كان حقاً على أن أكون له شافعاً يوم القيامة)) (٣). وفى آخر: ((من زارنى كنت شهيداً أو شافعاً)). ثم إن هؤلاء المزورين من الأولياء والصالحين، إن هم إلا عباد الله الذين تشرفوا بطاعتهم وعبادتهم وتوحيدهم له جل شأنه، ولهم التقدم بسابقتهم فى الإسلام، واجتهادهم فى الدين. وقد ورد فى الشريعة المطهره والسنة النبوية من الرجحان فى زياره سائر المؤمنين من أهل القبور والتسليم عليهم، فكيف بهؤلاء؟! وهل يكون التسليم على مثل هؤلاء الصالحين شركاً وقد سلم الله عزوجل فى كتابه على آحاد من الأنبياء والمرسلين، فقال: ((سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ)). وقد سلم على يحيى وإلياسين، وصلى على الصابرين من المؤمنين، وأمر رسوله بالسلام عليهم. وأوجب على المسلمين كافة أن يخاطبوا نبيهم فى كل يوم خمس مرات إلى يوم

١- مجمع الزوائد ١٠/١٦٢ عن الطبرانى فى الكبير والأوسط، وكنز العمال ١/٤٩٤ عن الفردوس.

٢- مجمع الزوائد ٤/٢ عن البزار.

٣- مجمع الزوائد ٤/٢ عن الطبرانى فى الكبير والأوسط.

ص: ٤١

القيامه بالصلوات عليه فيقولوا: ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)). وفرض السلام على عباد الله الصالحين من جميع المؤمنين السالفين منهم واللاحقين. وأن لا يتم لأحد صلاته إلا بالصلوات على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) الطاهرين. ولنعلم ما قال الشافعي، كما روى عنه ابن حجر في «الصواعق»: يا آل بيت رسول الله حُبُّكُمْ ++ فرض من الله في القرآن أنزله كفاكم من عظيم الفخر أنكم ++ من لا يصلّي عليكم لا صلاة له

دفاع الآلوسى البغدادي عن الوهابية

وأما ما ذكره ابن الآلوسى البغدادي فيما روج به أمر الوهابيين من «تاريخ نجد» في صفحته ٤٨ قال: والذي اعتقدوه في النبي أن رتبته أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حيّ مرزوق في قبره حياه مستقره أبلغ من (حياه) الشهداء المنصوص عليها في التنزيل؛ إذ هو أفضل منهم، وأنه يسمع سلام من يسلم عليه، وأنه تسنّ زيارته غير أنه لا تُشدّ إليه الرحال. ففيه أولاً: أن صراحه الآيات المحكمه في التنزيل، كما تراها ممّا تعمّ النبي وغيره من الشهداء والأولياء ممن قُتل في سبيل الله، فلا اختصاص لها بالنبي، وإلا لأفرده الله بالذكر دونهم. وإذا كان كذلك فيتبعها لا محاله آثارها ولوازمها، من السلام والدعاء والتوسّل، كما في حياتهم. وثانياً: أن المراد من الحياه الثابته لهم بقوله تعالى: ((بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

ص: ٤٢

يُزَوِّقُونَ)) إِنَّمَا هُوَ الْأَكْمَلُ وَالْأَبْلَغُ مِنَ الْحَيَاةِ الْبَرَزَخِيَّةِ الثَّابِتَةِ لِعَمُومِ الْمَوْتَى، وَذَلِكَ لَوْجِهَيْنِ: الْأَوَّلُ: تَخْصِيصُ الشَّهَادَةِ بِالذِّكْرِ هُنَا دُونَهُمْ. وَالثَّانِي: إِفْرَادُ سَائِرِ الْمَوْتَى بِالذِّكْرِ فِي آيَةٍ أُخْرَى، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِمْ: ((وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)). وَقَالَ فِي حَيَاةِ الْكُفَّارِ مِنْهُمْ: ((الَّنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا))، وَذَلِكَ لِأَنَّ حَيَاةَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِيهَا بُكْرَةٌ وَلَا عَشِيٌّ. هَذَا مَعَ رِعَايَةِ الْأَفْضَلِيَّةِ. وَفِي الْمَعْتَبَرِ أَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ عَنْ تَكْلِمِ الْمَوْتَى، فَقَالَ ((صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)) ((نَعَمْ إِنَّهُمْ يَتَرَاوُونَ)). وَشَوَاهِدُ الْمَقَامِ لَا تُحْصَى. فَقَدْ ظَهَرَ فِسَادُ قَوْلِهِ فِي رِسَالَتِهِ: وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا الْإِسْتِغَاثَةَ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ، الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ. فَإِنَّكَ بَعْدَمَا عَرَفْتَ النُّصُوصَ الصَّرِيحَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، مَعَ تَصْرِيحِ هَؤُلَاءِ الْوَهَّابِيِّينَ وَاعْتِرَافِهِمْ لِلأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِحَيَاتِهِمُ الْمُسْتَقَرَّةِ، وَأَنَّهِمْ فِيهَا مَرْزُوقُونَ مَنْعَمُونَ، فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرُونَ، مِتْرَاوُونَ، وَلَمَنْ حَيَاتِهِمْ بِتَحْيِهِ، أَوْ سَأَلَهُمْ مَسْأَلَةَ سَامِعُونَ، وَبِهِمْ عَارِفُونَ، وَإِلَى اللَّهِ مُتَضَرِّعُونَ سَائِلُونَ، فَقَدْ اعْتَرَفُوا بِالْمَقْدُورِ. وَأَمَّا رَفْعُ الْحَاجَةِ وَالسُّؤَالِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَى اللَّهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَمِمَّا لَيْسَ فِيهِ إِشْكَالٌ.

السنة والسيره فى زياره القبور

وأما شدّه إنكارهم لزياره القبور والوقوف عليها والدعاء لديها. فالجواب عنه فضلا عمّا عرفت: هو البيان بدليل القرآن وجميع المأثور فى

ص: ٤٣

زياره القبور وما ورد فى فضلها، وأنها من السنّه، وما ورد من الأعمال والأدعيه هناك. فضلا عن سيره رسول الله فى زيارته شهداء أحد، وحضوره لزياره مقابر البقيع، ووقوفه عليها فى الترحيم والتسليم، وأمره وحثّه وترغيبه وتقريره عليها. كما ورد قوله: ((كنتُ قد نهيتكم عن زياره القبور ألا فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة)) (١). وفى المروى عن الحاكم عن أبى ذر قوله: ((زر القبور تذكر بها الآخرة))، ومثله المروى عن أبى هريره فيما سيأتى بيانه. وقد روى حجه الإسلام الغزالي فى الإحياء عن ابن أبى مليكه، قال: «أقبلت عائشه يوماً من المقابر، فقلت: يا أمّ المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخى عبدالرحمن. فقلت: أليس كان رسول الله نهى عنها؟ قالت: نعم، ثم أمر بها». والسّرّ فى النهى الأول: أنه كان ذلك بدوّ الإسلام، وفى زياره القبور وتذكار الموتى كان باعثاً على الجبن عن الجهاد، حتّى إذا قوى الإسلام أمرهم بها. ومثله غير عزيز. وقد سئل على ((عليه السلام)) فى الخضاب عن قول النبى ((غَيروا الشيب، ولا تشبّهوا باليهود)) فقال: ((إنما قال)) (صلى الله عليه وآله وسلم)) ذلك والدين قلّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه، فامرؤ وما اختار)). وفى الإحياء عن ابن أبى مليكه قال: قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) ((زوروا موتاكم،

١- سنن النسائى ٤/٩٠ و ٧/٢٣٥، وفى مسلم ٣/٦٥ وفيه: تذكر الموت، وكذا ابن ماجه ١/٥٠١، ومستدرک الحاكم ١/٣٧٥، والسنن الكبرى للبيهقى ٤/٧٦، وعقد البيهقى باباً لخصوص زياره القبور فى البقيع فلاحظ ٥/٢٤٩، ولاحظ مجمع الزوائد ٣/٥٨ و ٤/٢٦، وكنز العمال ٥/١٠٨ و ٣٧٧ و ٨٥٩، وانظر ١٥/٦٤٦ وما بعدها.

ص: ٤٤

وسلموا عليهم، فإن لكم فيهم عبرة)). وفيه عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه، وسلم عليه. وكانت فاطمه بنت النبي تزور قبر عمها حمزه في الأيام، فتصلي وتبكي عنده. وفيه: قال قال النبي: ((من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعه غُفر له وكتب بَرًّا)). وقال: قال رسول الله: ((ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به وردَّ عليه روحه حتى يقوم)). وقال: قال سليمان بن سحيم: «رأيت رسول الله في النوم قلنا: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك يُسلمون عليك أنفقهم سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم». وقد تواترت الأحاديث الصحيحة الواردة عن آل محمد وحثهم على زياره الحسين بن علي بن أبي طالب ((عليهم السلام)).

ابن تيميه يعترف بمشروعيه الزياره

وقال أحمد بن تيميه في رسالته التي عملها في «مناسك الحج» (١): «فالزيارة الشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له، كما يقصد بالصلاة على جنازته، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنه أن يسلم على الميت، ويدعو له سواء كان نبياً أو غير نبى، وكما كان النبي يأمر أصحابه إذا زار القبور أن يقول أحدهم: السلام عليكم أهل الديار... إلى آخر الزيارة. قال: وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابه.

ص: ٤٥

وفى المنقول عن كتاب له فى فتاواه ((مسأله ٢٢)) (١) قال: «لو سافر إلى المسجد النبوى، ثم ذهب معه إلى قبا، فهذا يستحب، كما يستحب زيارة أهل البقيع وشهداء أحد» انتهى كلامه. وأما الدعاء عندها فلقو له تعالى: ((وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)). حيث ذكر المفسرون كأبى السعود والإمام الرازى وغيرهم من أعظم المفسرين: أن النبى كان من عادته إذا دُفن الميت، وقف على قبره ساعة، ودعا له. ففى الآيه دلالة على أن القيام على القبور للدعاء عباده مشروع، ولولا ذلك لم يخص بالنهى عن الكافر.

اسلام السلفيه والوهابيه

وبها استدلل أيضاً شيخ الوهابيه ومؤسس ديانتهم أحمد بن تيميه فيما نقل عنه من كتاب له فى فتاواه ((فى جواب مسأله ٥١٨)) (٢) قال: «فأما الزيارة الشرعيه فهى من جنس الصلاه على الميت ؛ يقصد بها الدعاء للميت، كما يقصد بالصلاه عليه، كما قال الله فى حق المنافقين ((وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)) فلما نهى عن الصلاه على المنافقين والقيام على قبورهم، دل ذلك بطريق مفهوم الخطاب وعله الحكم على أن ذلك مشروع فى حق المؤمنين. والقيام على قبره بعد الدفن هو من جنس الصلاه عليه قبل الدفن ؛ يُراد به الدعاء له.

١- ص ١٨٦.

٢- مجلد ٤ ص ٣٠٦.

ص: ٤٦

وهذا هو الذى نطقت به السُّنة، واستحبه السلف عند زياره قبور الأنبياء والصالحين». إنتهى كلامه على غلوهم فيه وغلوه فى تحريم إتيان القبور والوقوف عليها والدعاء لديها وقراءه القرآن عندها. وقد أورد الغزالي أيضا فى «الإحياء» عن محمد بن أحمد المروزى، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقروا بفاتحه الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر، فإنه يصل إليهم... إلى غير ذلك. وبالجملة: فإذا كان الأمر كذلك. فما معنى تخصيص جواز زياره القبور بالنبي خاصة دون غيره. وما خصوصيه الحاضر دون السفر إليه وشد الرحل نحوه؟! أليس هذا هو التقول بالغيب والفتوى فى دين الله بالريب؟! هذا، وأصالة الجواز فيما لم يرد فيه النهى كما تراها فى الكل محكمه، وليست بمخصيه، وعلى مدعيه الإثبات، ودونه خرط القتاد. أوليس قد صح ما ورد عن الغزالي عن النبي أنه قال: ((من وجد سعه ولم يغد إلى فقد جفاني)). فإن وجدان السعه إنما هو يصح للمسافر الذى يشد الرحل إليه.

حديث لا تشد الرحال...

ومن العجب تمسكهم فى ذلك بحديث: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)) المروى عن أبى هريره. مع أن ذكر المساجد فى المستثنى بعد تسليم الحديث وصحته، دليل على أن

ص: ٤٧

المستثنى منه هو خصوص المساجد، لا مطلق السفر؛ أى لا تُشَدُّ الرحال إلى مسجد من المساجد، فيكون الحديث ناظراً إلى الأمر بشد الرحال إلى المساجد المعظمه لإدراك جمعتها وجماعتها، وليس المراد النهى عن مطلق شد الرحل، وإلا لزم تخصيص الأكثر إذ لو أخذ بعمومه لانتقض بمطلق الأسفار المباحه والمندوبه والواجبه، مع وجوب شد الرحل إليها، فليكن منها شد الرحال إلى المشاهد المشرفه والبيوت التى أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسم الله، ولتعظيم شعائر الله. فإن قالوا هناك بالتخصيص قلنا فيها أيضاً، وإن قالوا بالتخصيص فكذلك قلنا فيها.

المؤلفات فى جواز الزيارات

هذا مع ما روى بعض أجله الأعلام بما شاهد مما أُلّف وصيِّف فى هذا المقام. فمنها: كتاب «شفاء السقام فى زياره خير الأنام»، «شن الغاره على من أنكر فضل الزياره» تأليف قاضى قضاه المسلمين فى القرن الثامن، الشيخ الحافظ تقى الدين أبى الحسن السبكى، المطبوع بمصر القاهره، المرتب على أبواب فى إثبات حياه الأنبياء والشفاعه وفضل الزياره والسفر إليها ومسنونيتها، وأنها من القربه، وأبواب فى الاستغاثات والتوسيلات. ومنها: «الجوهر المنظم فى زياره قبر النبى المكرم» تأليف أحمد بن حجر الشافعى كذلك... إلى غير ذلك من المؤلفات.

تناقض التصرفات

وأما قوله فيما اعترف به من حياه النبى ((صلى الله عليه وآله وسلم)): «إنه يسمع سلام من يسلم

ص: ٤٨

عليه»، فهذا كلام من ينقض فعله قوله، ولا- يعتقد بشىء مما يتفوه به. وإلا، فلم لم يُراعوا بالأمس حرمة فى حرمة وضريحه، وقاتلوا وقتلوا من المسلمين حول حرمة وحماه؛ ممن يستغيث برسول الله؛ وذلك بمرءى منه ومسمع فيسمعه إغاثته بقوله: وا محمداه! (١). والناس إلى اليوم يُضربون على قول: «يا رسول الله»!

لا فرق بين حياه الرسول و موته فى تعظيمه

وأيضاً ما يرون هؤلاء فى قول الله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ))، وكذا قوله تعالى: ((لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)) الآيه. هل هى من الأحكام الباقية إلى القيامة أم لا-؟ فإن قالوا: لا، فقد كذبوا وخالفوا كتاب الله والسيره المستمّره وإجماع الأئمه. وإلا فليخبرونا ما الوجه فى ذلك؟ وليذعنوا أنها ليس إلا لحياته ولمعامله الأئمه معه معاملة الأحياء. والعجب ممن يظهر التحاشى، وينكر إنكار السلف على من قصد دعاء الله عند القبر، وقد شاع ما ورد فى الكتب المعتمّره من فعل أعظم الصحابه، من الشيخين وغيرهما إلى زمان التابعين والخلفاء. ولم يزالوا خلفاً عن سلف يتشرفون بزياره قبر النبى ((صلى الله عليه وآله وسلم))، ويتبركون بحرمة وتقبيل قبره ومنبره من خارج الحرم، بعدما كانوا يدخلون عليه فى برهه من الزمان، وفى الحجره عائشه ليس بينها وبين القبر إلا حائل من ستر أو بناء من جدار.

١- لقد انتشر نأ قتل الوهابيه للمسلمين اللاجئيين بحرم رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) فى جميع كتب التاريخ، فراجع.

ثم بنوا على القبر حيطاناً مرتفعه مستديره حول القبر، وبقي كذلك إلى أن بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين، وحرّفوهما حتى التقيا ؛ لئلاّ يتمكن أحد من استقبال القبر. هذا ولم تزل الحجره مزاراً للمؤمنين معاذاً للأندين. ومن أحاط خبراً بتاريخ السلف وترجمه أحوال مهاجرى الصحابه علم أنّهم كانوا كثيراً ما يقصدون المدينه لإدراك زياره الحجره المتوره. ولولا خوف الإطاله لأتيت على ذكرهم ولمألت هذا الكراس من تراجمهم. هذا، ولم ينكر عليهم لا الشيوخ ولا كبار الصحابه بشيء. وهذا أمير المؤمنين على ((عليه السلام)) أتى بعد موت النبى ((صلى الله عليه وآله وسلم)) ووقف على قبره الشريف، وخاطبه بقوله: ((طبت حياً، وطبت ميتاً... إلى قوله: بأبى أنت وأُمى أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك وهَمَك...)) إلى آخر كلماته. ووقف أيضاً يوم دفنه فاطمه ((عليها السلام)) على قبره، وخاطبه بقوله: ((السلام عليك يا رسول الله عنى وعن ابنتك النازله بفنائك، البائته فى الشرى ببقعتك. قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى، وعفا عن سيده نساء العالمين تجلدى...)) إلى آخر كلماته. وهذا حسين بن على ((عليهما السلام)) سبطه وفرخه ؛ لما أراد المسير إلى العراق، أتى قبر جدّه وضريحه ثلاثه أيام، زائراً مودّعاً داعياً مصلياً، سائلاً منه التكليف لأمره وحرمه وصحبه ؛ مخاطباً إيّاه بقوله: ((يا جدّاه أنا الحسين بن فاطمه، فرحك وابن فرختك، وسبطك الذى خلّفته فى أمتك)). هل ترون أنّه كان بذلك مخاطباً للأموات؟ أم كان يسأله من أمره وتكليفه؟ ولم يزل حتى أجابه النبى ((صلى الله عليه وآله وسلم)) بقوله: ((أخرج إلى العراق، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً...)) إلى آخر ما أجابه من أمر حرمه وعيالاته.

ص: ٥٠

وبالجملة: فإن كان المراد من النكير مجرد الزيارة للقبور والتبرك بها والصلوات والدعاء عندها، فقد عرفت أنه أمر راجح مسنون، وستعرف الأمر بها في العمومات من الآيات والقرآن العظيم، فانتظر المقام الثالث. وإن أراد من ذلك عبادتها واتخاذها معاذ الله آله تُعبَد من دون الله، فحاشا، ثم حاشا من ذلك. حيث لم تَر ولم نشهد ولم نسمع أن أحداً من المسلمين اعتقد بشيء من ذلك، أو خطر به، فكيف بالشيعة الإمامية، وهم أول الموحدين، وأحوطهم في تقديس الله رب العالمين، وأدقهم في تقديسه ومعرفته ((صلى الله عليه وآله وسلم))، إذ ورثوا وأخذوا علومهم ومعارفهم عن مهبط الوحي والتنزيل؟! فما معنى إنكار التبرك بالقبور وزيارتها وتعاهدها، وبناء القباب عليها والوقوف عندها؟! وأى وجه للرمى بأنها وسيله للشرك؟! وقد علمت أنه ليس ذلك إلا للغايات الدينيه، حفظاً لآثارهم وقبورهم الكريمه، وصيانه عن الاندراس والانطماس وفوات انتفاع المؤمنين بزيارتهم، والإسراج بها لتلاوه القرآن وذكر الله عندها. أو ما تقدم أن العباده ليست مطلق الخضوع، وإلا لكان الوهابيون الخاضعون لشهواتهم العابدون لأهوائهم في معاصيهم كفاراً. وإنما العباده هي الخضوع الخاص المقرون بالإخلاص عند أمر الله الواجب العظيم لذاته.

تعظيم ما أمر الله، هو من عباده الله و طاعته

على أن تعظيم الأمور به لتعظيم أمر الله عز وجل إنما هو في الحقيقة

ص: ٥١

عباده الله وتعظيمه تعالى ؛ من غير فرق بين أن يكون ذلك المأمور به إنساناً أو حجراً أو مدرّاً أو غيرها، كالأمر بالسجود لآدم فإنه كان تعظيماً لأمر الله تعالى وعباده له، كما أنه كان للملائكة امتحاناً، ولآدم تشريفاً، فإنّ الغايات تتعدّد بالاعتبارات. وكذلك أمر الشارع بفرض الطواف على أحجار البيت، وتقبيل الحجر الأسود واستلام الأركان والتزام المستجار. وإلا لكان الأمر بجميع ذلك أمراً بالشرك. فمن تبرّك بشيء لأمر الله، كان في الحقيقة عباده الأمر به. وهذا عبد الله بن أحمد بن حنبل كما هو المروى عن كتاب «العلل والسؤالات» قال: سألتُ أبا عن الرجل يمسّ منبر رسول الله، ويتبرّك بمسّه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله. فقال: لا بأس به. فالتواضع والتبرّك والإكرام والاحترام لما هو معظّم عند الله، إنّما هو من تعظيم الله. كما أنّ تعظيم بيوته ومساجده وقرآنه، بل والجلد والغلاف منه، إنّما هو لانتسابها إلى الله. فمن قبل الحجر الأسود أو عظّم البيت أو استلم الأركان أو وجد شيئاً من آيات القرآن وكلماته ملقى مهاناً، فبادر إليها برفعها وتعظيمها وتقبيلها، فإنّما قبل آيات الله وعظّم شعائر الله وتبرّك بآثار ربّه أينما وجدها وحيثما رآها. فلها منزل على كلّ أرض ++ وعلى كلّ دمه آثاُر ونعم ما قال العامري:

ص: ٥٢

أَمَرَ عَلَى الدِيَارِ دِيَارٍ لَيْلِي ++ أُقْبِلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا وَمَا حُبُّ الدِيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي ++ وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِيَارَا كَلَا، وَلَيْسَ اسْتِلَامَ الْحَجَرِ إِلَّا- لاسْتِحْضَارَ (مَعْنَى) الْمُبَايَعَةِ لِلَّهِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالتَّصْمِيمِ مِنَ الْمَكْلَفِ لِعَزِيمَتِهِ عَلَى الْوَفَاءِ بَبَيْعَتِهِ ((وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا)). وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ((صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)): ((الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ / يَصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ، كَمَا يَصَافِحُ الرَّجُلُ أَخَاهُ)). وَلَمَّا قَبَلَهُ عَمْرٌ، قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ إِنَّكَ حَجْرٌ / لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ((صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)) يَقْبَلُكَ لَمَا قَبَلْتُكَ» (١). فَقَالَ عَلِيٌّ: ((يَا عَمْرُ مَهْ بَلْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى بَنِي آدَمَ حَيْثُ يَقُولُ: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ)) الْآيَةَ، الْقَمَةَ هَذَا الْحَجَرِ لِيَكُونَ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ بِأَدَاءِ أَمَانَتِهِمْ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ اسْتِلَامِهِ: ((أَمَانَتِي أَدَيْتُهَا، وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتَهُ / لِتَشْهَدَ لِي عِنْدَ رَبِّكَ بِالْمُؤَاْفَاءِ)) (٢). وَكَذَلِكَ التَّعَلُّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَالتَّصَاقُ بِالْمَلْتَزَمِ، إِنَّمَا هُوَ لاسْتِحْضَارِ طَلَبِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ حُبًّا لِلَّهِ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ، وَتَبَرُّكًا بِالْمَمَاسَّةِ، وَالإِلْحَاحُ فِي طَلَبِ الرَّحْمَةِ. وَهَكَذَا أَسْرَارُ السَّعْيِ وَالْهَرُولِ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُوهِ وَالْوَقُوفِينَ

١- الحديث إلى هنا في صحيح البخارى ٢/١٦٠، ومسلم ٤/٦٦، سنن النسائي ٥/٢٢٧، ولاحظ التخرىج التالى.

٢- أورد جواب على ((عليه السلام)) لعمر، الحاكم فى المستدرک على الصحيحين ١/٤٥٨ وفى آخره: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فىهم، يا أبا حسن.

ص: ٥٣

والرمى والهدى... إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية، فإنَّ لكلِّ منها أسراراً إلهيةً وحكماً ومصالح روحية، كما هي المروية عن أهل بيت العصمة. والمسكين المحروم منها هو الجامد على الظواهر، القاصر عن إدراكها.

زياره القبور سنه نبويه و غايتها

وكما أن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) المشرّع لزياره قبور المؤمنين المُسنِّ لها ؛ بتعاهدها والوقوف لديها والدعاء عندها، فقد أشار إلى بعض غاياتها ومصالحها فيما تقدّم من الصحيح بقوله: ((ألا فزوروا، فإنها تذكركم الآخرة)). وفي حديث آخر المروى عن الحاكم عن أبي ذر: ((زر القبور تذكركم بها الآخرة)). وما رواه الغزالي عن ابن أبي مليكة قال: ((زوروا موتاكم وسلّموا عليهم، فإنَّ لكم فيهم عبرة)). إلى غير ذلك من الغايات. وذلك لأنَّ الحضور عند المزور إنّما يمثّل للزائر شخصيات المزور بجوامع مآثره ومجامع صفاته وآثاره، ولا سيّما إذا كان المزور من أكابر الأولياء والشهداء ؛ ممّن له في الإسلام لهمة وسابقته وعلمه وزهده وفتاواه مقامات تاريخية ومواقف كريمة ومزايا عظيمة. فتلقّى الزياره على الزائر حينئذ أبحاثاً جليّة، علميّة مبدئية معاديه أخلاقية اجتماعية، يعتبر بها حسبما يتجلّى له من الحكم والمصالح العائده إلى النفس التي لا- ينبغي تفويتها، ويجب على الشارع الرؤوف الرحيم الحريص على تربيّه الأُمَّه التنبيه عليها. فالظاهريّه بجمودهم غلّوا وأفرطوا فقتلوا حقائق الديانه، كغُلّوا الباطنيه في

ص: ٥٤

تفريطهم واعتبارهم القشريه لظواهر الكتاب والسنة. فكان الفريقين تظاهرا على قتل الشريعة ظهراً وبطناً. مع أن الأحرى لهم التحرى إلى التوسط والاعتدال، وسلوكهم فى الدين مسلك النبى محمد وآل.

بناء المشاهد والمزارات عمل شرعى

ثم بعدما عرفت الغايات الدينيه لبناء القباب وزيارتها وتعاهدها، فلا يخفى عليك أنه ليس فى بناء القباب وتعليتها تجديدًا للقبر، وإنما هو وضع علامه عليها بعيده عنها لتكون كما عرفت دلالة وعلمًا على المزور، وحفظًا لبقاء الآثار، وتوصية لزياره الأطهار، وإرغامًا لغير المسلمين من الكفار، وتعظيمًا لشعائر الله المنسوب إليها بالرفع والتشديد، ومعاونه على البر لزوارهم، واستكثارًا لتلاوه القرآن وذكر الله لديهم، وإهداء ثوابها لهم وإليهم. كل هذا تقرّبًا بالمسنونات، وأداء لحقّ سابقتهم فى الإسلام، ووقايه للزائرين من الحرّ والبرد. أو ليسوا من كبار الصحابه والتابعين ودعائم الدين وأئمة المسلمين؟؟ ومن الواضح الغير الخفى أن التعظيم ليس لقبورهم بما هى حفرة وتراب، بل إنما هو لذلك الشأن العظيم لهم فى الإسلام. أو ليس عمر أول من بنى قبر النبى ((صلى الله عليه وآله وسلم)) وسواه باللبن؟! واقتدى به بعده الخلفاء خلفاً عن سلف من تسقيفه وعمارته ما حوله؟! كما بنى عثمان المسجد بعد ذلك بالحجاره المنقوشه إلى أن بنوه بأحسن بناء. أو ما كان قصد عمر والخلفاء من بعده هو التعظيم لشعائر الله. أو هل قصد عمر بفعله هذا عباده قبره ((صلى الله عليه وآله وسلم)) وجعله وسيله للشرك

ص: ٥٥

بربه، حاشاه؟! هذا، ولم يكن وضع القباب على القبور حادثاً فى هذه القرون، بل كان ثابتاً فى القرون السالفه من قبل الهجره إلى أعصار الصحابه والتابعين والخلفاء الراشدين. كما يظهر من تراجم الماضين وأحوالهم فى الكتب المعتمده، وأن للمعتبر بها والآثار الباقية منها لعبره. فمنها قبر إبراهيم الخليل بفلسطين، وقبور سائر الأنبياء السالفين بيت المقدس. وبمكه فى الحجر قبر إسماعيل وأمه هاجر، وفى تستر قبر دانيال... إلى غيرها من القبور وقبابها فى أقطار العالم. وكذلك تعليه القبور فى الإسلام، فهذا «صحيح البخارى» فيما رواه عن خارجه بن زيد قال رأيتنى ونحن شبان فى زمن عثمان، وإن أشدنا وثبه الذى يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه. وقال: قال عثمان بن حكيم: أخذ بيدي خارجه فأجلسنى على قبر، وأخبرنى عن عمه يزيد بن ثابت قال: إنما كره ذلك لمن أحدث عليه. وقال نافع: كان ابن عمر يجلس على القبر. وفيه أيضاً بإسناده إلى أبى بكر بن عباس عن سفیان التمار: أنه حدثه: أنه رأى قبر النبى مسنماً. وهذا التاريخ يعلن بقبر العباس بن عبد المطلب عم النبى وبناء القبه عليه، الباقية إلى أواخر القرن الأول، كما عن ابن خلكان. وقد كان ينبغى لهم الأسوه بإمضاء الشيخين وبقية الخلفاء. أو ليس إبقاء هذه الآثار فى عصرهم مع قدرتهم وسلطنتهم على تلك الأقطار والديار إمضاء منهم وتقريراً لهم، وهى السنه الباقية منهم؟! أو ليس النكير عليهم ومخالفتهم وترك سنتهم بدعه وضلاله!؟

ص: ٥٦

والحاصل: أن حرمة موتى المؤمنين وقبورهم مما ثبت شرعاً. وقد صحَّ عن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قوله: ((حرمة المؤمن ميتاً كحرمة حياً)). وضروره المسلمين بل الملتين، بل وجبَّه البشر على زياره قبور موتاهم وتعاهدها. فضلاً عما ورد في الشريعة من وجوب احترام موتى المسلمين، كالأمره بوجوب تغسيلهم وتكفينهم وتطييبهم، والرفق بهم، ودفنهم ومواراتهم. وحرمة إهانتهم بجساره أو بجنائيه، أو بمثله بأجسادهم، وهتك لقبورهم. كما ورد في مناهي النبي: من كراهه الجلوس على قبر المؤمن ووطئه بإهانه. وحرمة سب الموتى، كما في البخارى فى باب «ما ينهى عنها سب الاموات». ففى المعبره أيضاً قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) ((من وطئ قبراً فكأنما وطئ جمرًا)). وفيما أخرجه النووى فى «الكنوز» (١) عن الديلمى: ((إياكم والبول فى المقابر، فإنه يورث البرص)). وروى الرازى فى تفسيره الكبير عن «الكشاف» فى حديث طويل، رواه عند قوله تعالى ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبَى)) إلى قوله: ((ألا ومن مات على حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فُتِحَ فى قبره بابان إلى الجنَّة، ألا ومن مات على حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جعل الله قبره مزاراً لملائكته الرحمة)). هذا كله فى قبور سائر الموتى. فكيف إذا كان الميت نبياً أو وصياً أو ولياً أو أحداً من الصالحين؟؟

كرامات الأولياء من قبورهم

وحسبك ما يظهر منها من الكرامات وخوارق العادات، المشهودة المشهورة

ص: ٥٧

في كل عصر، ما يفتح أبواب معرفه الله الواهب لآثار صنعه، وعجائب قدرته وبركاته لأوليائه. وهذا هو الإمام الشافعي في المروى عن الشيخ في «اللمعات» حيث قال: «إن قبر الإمام موسى الكاظم ((عليه السلام)) تريقا مجرب للإجابة» (١). وبالجملة: فمن المغالطه الواضحه والافتراء العظيم نسبه هؤلاء الزائرين في إقامه الصلوات والدعوات وقراءه القرآن والآيات في المشاهد المشرفه والمقامات المتبركه، إلى عبادتها!! وإنما هو البهتان العظيم والإفك الكبير. فليت شعري متى خص الله هؤلاء المفترين بعلم الغيب؟! وكيف اطلعوا على سرائر العباد وضمائرهم؟! ومن أين وقفوا على تياتهم؟! أو ما علموا ودروا أن لمكان المصلى دخلا في الراجحيه والمرجوحيه من حيث الخسّه والشرافه؟! أو مانهى النبي عن الصلاه في المزابل والمذابح ومبارك الإبل ومرابط الخيل وقرى النمل والأراضى السبخه وبيت فيه المسكر والطرق والشوارع؟! أو ليس لله أن يفضّل الناس بعضهم على بعض؟ كما فضل الرسل، وقال: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ)). وفضل بعض الناس على بعض، فقال: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)). وفضل الرجال على النساء، فقال: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ)). أو ما شرف الله بقعه على بقعه كما شرف المساجد أيضاً على البقاع، وكما شرف

١- لم أجده، ولكن روى الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٩/٣٤٣ عن إبراهيم الحربى، قوله فى قبر معروف الكرخى: إنه التريقا المجرب.

ص: ٥٨

المساجد الأربع على سائر المساجد، وشرف المسجدين على غيرهما؟! أو لم يرد في الأحاديث: أن الأعمال يتضاعف أجرها لشرف المكان أو الزمان؟! أو لم يفضل الله الأشهر الحرم على سائر الشهور، وفضل شهر رمضان عليها؟! أو ما صح أن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) خطب خطبته التي خطبها آخر جمعه من شعبان في فضيله شهر رمضان، ومنها قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) فيها: ((شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات...)) إلى قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) في فضل شهر رمضان، ((من أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن قرأ فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور)) الخطبه. وبالجملة: فقد شرف الله بعض الأحجار على بعض، والمقامات بعضها على بعض، كما شرف أحجار البيت والحرم والحجر الأسود وزمزم وركن الحطيم ومقام إبراهيم، فقال: ((وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ)) أو ليست هي إلا صخره عليها أثر قدم إبراهيم الخليل، وفيه قبر إسماعيل؟! أو ما قرأت قوله تعالى: ((قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)) حيث أمضى الله سبحانه فعلهم، وهم المؤمنون، وعليه المفسرون؟ وهذا وجه رغبة الشيخين في دفنهما مع الرسول في الروضة المنورة وجواره الشريف، تبركاً بحرمة وشرفه وبركته. وكذلك حكم العقل في حرمة قبره وقبره. فإن حرمة النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) لا تذهب بعد موته ضياعاً. أفهل كان رغبتهما في الدفن عند رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) إلا التبرك بعظمته وتعظيماً لمضجعه بجميع مراتب التعظيم؟!

ص: ٥٩

ومن ذلك رغبه عائشه، وادّخارها مكان القبر لها لكنّها آثرت عمر لما استأذن منها. أو هل يستطيع المسلم أن يُنكر المقام العظيم في الإسلام لمثل هؤلاء الذين هُتكت حرمتهم بهدم قبابهم؟!

يفترون على المسلمين

ثم، وهذا الافتراء منهم وإفكهم، كقياسهم الحلف والندورات والهدايا وذبائح المسلمين الواقعه الله رب العالمين، بما كان يفعله المشركون. سُبِحَانِكَ اللَّهُمَّ ونعوذ بك من هذا البهتان العظيم، وتفريق الكلمه وشق عصا الأُمّه من غير رويّه وبينه وحجّه. وما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حُرّمات الله ورمى عباده الموحّدين! وهل يخفى على مثل هؤلاء الموحّدين من أعلام الدين: أن الحلف بغير الله على وجه إرادته تعالى منه مما يوجب الخروج من ربّقه المسلمين؟

الحلف عند المسلمين

فالأيمان الواقعه بغيره تعالى ممّا لا يُراد منها حقيقه القسم. وحاشا أن يقع منهم ذلك على وجه إرادته تعالى، وإنما هو مجرّد العبارة وزياده التأكيد. فإنّ مثل هذا الصادر كثيراً في كلمات أعظم الصحابه غير عزيز، كما لا يخفى على المتتبع في كلماتهم. وهل الحلف ببيت الله وكلمات الله وآيات الله، أو بضرّيح النّبى وشيبتّه ومنبره وتربته، إلّا لمجرّد التثبّت والتأكيد؟!

ص: ٦٠

فإن لم يحضروا بلاد الشيعة الموحدين، ولم يطلعوا على سرائرهم، فهامى بين أيديهم الكتب من فقه الإمامية وسائر المسلمين المطبوع منها وغير المطبوع التي ملأت أقطار العالم، فإن فيها ما يجرهم عن هذا الافتراء العظيم. وهل جعل الله للمسلمين حرمة أعظم من حرمة بيته وكعبته؟! أو ما حرم الله ظنَّ السوء وسوء القول؟! وهل يخفى على فحول العلماء والفقهاء من أهل الجمعه والجماعه وإمعان النظر فى الأحكام أن الذبح لغير الله العظيم تعالى شأنه حرام؟ وهذه أبواب فقههم مصرّحه بأنّ النذر لا ينعقد إلاّ الله سبحانه، ولا الذبائح والقرايين إلاّ له جلّ شأنه، ولا تحصل التذكية إلاّ باسمه تعالى اسمه. فلو لم يخصّ النذر بالله وبإنشائه له تعالى لم ينعقد، كما أنه إذا لم يُستقبل بالذبيحه ولم يسمّ الله عليها لا- تحلّ، وتقع ميتة نجسه. وأمّا نسبتها بعد ذلك إلى النبيّ والوصيّ والوليّ، فإنّما هي لكى يصل الثواب إليهم، كما نقرأ القرآن ونهدى إليهم ثوابه، ونصلّى وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم، وفيه أجر عظيم. وكان النبيّ ((صلى الله عليه وآله وسلم)) يذبح بيده، ويقول: ((اللّهمّ هذا عنّي وعمّن لم يضحّ من أمّتي)). وكان علىّ يضحّى عن النبيّ ((صلى الله عليه وآله وسلم)) بكبش، وكان يقول: ((أوصانى أن أضحّى عنه دائماً)). كذلك النذر، فانه لا يقع لغير الله بل على معنى أنها صدقه منذوره لله يهدى ثوابها إلى أولياء الله، وهذا لا يزيد عن نذر لأبيه وأمه أو حلف أو عاهد أن يتصدق عنهما. كما أن اختيارهم لها الأماكن المشرفه ليس إلاّ لشرف المكان وتضاعف الحسنات فيها.

ص: ٦١

وبالجملة فان النذر عنهم، لا لهم. فاين تذهبون وأنتى توفكون؟ وما هذا الرمى بالباطل والإفك العظيم؟ سبحانك اللهم ما أحلمك! وكيف كان، فقد انقذح بما ذكرنا فى المقامين: أن استدلال المموه المغالط بالمتشابه من آيات الشفاعة على دعواه، غلط باطل، وغلط ظاهر فساد. كفساد استدلال المعتزلة والخوارج على نفي الشفاعة بها تاره، وأخرى بقوله تعالى: ((وَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ))، ومزّه بقوله: ((مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)). فإن الآيات كما عرفت سوقها للكفار، وأن الظالم على إطلاقه هو الكافر بقرينه العهد وخصوصيه مورد النزول. فسلب المقيّد لا يستلزم سلب المطلق، ونفى المطاع لا يستلزم نفي المجاب؛ بمعنى أن نفي الشفيع الخاص لا ينافى إثبات مطلق الشفيع والشفاعة. وبداهه العلم بأنه تعالى ليس فوقه أحد، وكون الشفيع لا محاله دون المشفوع ممّا لا يوجب حملها على نفي المجاب، إذ غايتها أنّها سالبه كليّه، ونقيضها السلب الجزئى الملازم للإيجاب الجزئى. فسوق الآيات لعموم السلب لا لسلب العموم. على أنّا لا نسلّم عموم الأزمان والأحوال فيها؛ لجواز اختصاصها بموردها. كما أن قوله تعالى: ((مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)) وقوله: ((وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)) ممّا لا تدلّان على دعواه، فإن نفي النصره لاتستلزم نفي الشفاعة؛ لأنها طلب على خضوع، وأما النصره فربما ينبىء عن مدافعه ومكافئه.

ص: ٦٢

صفحه فارغه

فى ثبوت الأمر بالتوسلات والاستغاثات والاستشفاعات و فىه الأمر ببناء الضرائع والقباب المتعلقه بمشاهدتهم

توسل آدم بالنبي

فقد صحّ حديث توسّل آدم بالنبيّ من قبل أن يخلقه الله، ويبعثه إلى الدنيا، وكذا غيره من الأنبياء. كما فى آيات الموائيق عن الأنبياء نبوتهم ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قال الله تعالى: ((فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)). وقال تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ)) فيما ورد التفسير به. فقد أجمع السنّة والجماعه على حديث التوسّل حتّى ابن تيمية وابن القيم. ومما ورد فى التوسّل ما أورده الحاكم وصحّحه، قال: ((إنّ آدم لما اقترف

ص: ٦٤

الخطيئة، قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لى. فقال: يا آدم كيف عرفته؟ قال: لأنك لما خلقتنى نظرت إلى العرش فوجدت مكتوباً فيه: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله»، فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك، فعرفته أحبّ الخلق إليك» (١). ويؤيده: أنه لما سأل أبو جعفر المنصور الإمام مالكا، فقال له: أأستقبل القبلة وأدعو الله، أو أستقبل قبر النبي؟ فقال له: يا أبا عبد الله، ولمّ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيله أبيك آدم؟! (٢). والقاضى أبو عمرو عثمان ابن أحمد رواه مرفوعاً عن ابن عبّاس، عن النبي أنه قال: ((لما اشتملت آدم الخطيئة، نظر إلى أشباح تضىء حول العرش فقال: يا ربّ إنى أرى أشباحاً تشبه خلقى، فما هى؟ قال الله تعالى: هذه الأنوار أشباح اثنين من ولدك: أحدهما محمد، أبدأ النبوه بك، وأختمها به. والآخر أخوه وابن أخى أبيه، اسمه على، أأيد محمداً به، وأنصره على يده. والأنوار التى حولهما أنوار ذريته هذا النبي من أخيه هذا، يزوجه ابنته تكون له زوجته، يتصل بها أول الخلق إيماناً وتصديقاً له، أجعلها سيده النسوان، وأفطمها وذريتها من النيران، فتقطع الأسباب والأنساب يوم القيامة إلاّ سببه ونسبه. فسجد آدم شكراً لله أن جعل ذلك فى ذريته فعوضه الله عن ذلك السجود أن أسجد له ملائكته...)) إلى آخره. وما رواه القاضى زكريا الحنفى قاضى قسطنطينه فى عصر السلطان محمد

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم ٢/٦١٥.

٢- ذكر ذلك القاضى عياض فى الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى وانظر شفاء السقام للسبكي، الباب الرابع، دفع الشبه للحصنى ص ١٤٠.

ص: ٦٥

الفتاح ذكره في حاشيه له على «الكشاف» في تفسير قوله تعالى: ((وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى))، روى: أنه الميثاق في المهدي من ولده، القائم في آخر الزمان. وتبعه تلميذه خزيم أوعلى في تعليقه عليه.

البيوت المرفوعة

ومنها: ما رواه الشيخ ابن بطريق في «العمدة» عن الشيخ الحافظ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن نعيم الثعلبي في كتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن»، روى بإسناده عن القابوسي، عن الحسين بن سعيد، عن أبان بن تغلب، عن نفيج بن الحارث، عن أنس بن مالك، عن بريده. ورواه غيره من أعظم أهل السنّة بطرقهم عن أنس وبيده وابن عباس أنه قال: قرأ رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) ((في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال)). فقام إليه رجل، وقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة، فقال: نعم، من أفاضلها. ثم ذكر: وبيت تقاصر عنه البيوت++ وطال علواً على الفرقة تحوم الملائك من حوله++ ويصلح للوحي دار الندى بيان: الآية عقيب آية النور (١) أورده الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٣/١٢٧، وفي مجمع الزوائد ٩/١١٤، وكنز العمال ١٣/١٤٨ وتكلموا حول إسناده. وقد أشبع الإمام المجتهد الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني المغربي المتوفى ((١٣٨٠هـ)) البحث عنه، وأثبت صحته في كتاب ((فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينه العلم على)) المطبوع طبعه ثانيه بالقاهره عام ١٣٨٩هـ.

(٢). والتقدير: أن المشكاه الثابته في بيوت هذه صفتها.

١- أي قوله تعالى ((الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة)) الآية)

٢- (سوره النور: ٢٤).

ص: ٦٦

والرازي: أن التقدير كمشكاه فيها مصباح في بيوت أذن الله، وهو اختيار كثير من المحققين انتهى. ولا شك أن البيوت أعظم من المساجد، ومن بيت علم الله ووحيه وأنوار هدايته تعالى. كما أنها تعم الرجال ومساكنهم ومحل التعاهد إليهم. ويؤيده: قرينه المشكاه، فإن مجرد كون المشكاه في المساجد مآلاً معنى محصل لها، ولا فائده مهمه لذكرها. فالآية تمثيل لنور هدايته تعالى، وإعلانه عن شرافه أهل بيت نبیه وأطائب عترته، ممن خصهم الله بعلمه ونور هدايته، ومن نصبهم لإرشاد عباده، ومثل نور هدايتهم المقتبس من نوره تعالى بالمشكاه، فالظرفيه متعلقه بالنور المذكور في صدر الآيه، لمظهريته عن نور الله تعالى، ولم تكن قيداً للمشبّه، ولا خبراً عن رجال. ويؤيد هذا التفسير للبيت: قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)). وقد صح تفسيرها وتواتر من طرق السنه والجماعه، نزولها في خصوص الخمسه ممن اجتمع تحت العباء الخيريّه. كما ورد في تفسير قوله تعالى: ((وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)): أنها ليس المراد منها ظاهرها، بل هي من الكنايات، كما هو المتعارف في المحاورات. ويؤيده أيضاً قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((إن الله اختار من البيوت أربعه، ثم تلا قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)). ويؤيده قراءه أهل البيت «يسبح» بالمبنى للمفعول، والوقف على «الأصال»، والابتداء ب «رجال».

ص: ٦٧

وفى المعتمره من طرق الخاصه عن الإمام جعفر بن محمد ((عليه السلام)) أنه قال: ((إلتمسوا البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، فإنَّ الله أخبركم أنهم رجال)). ولما حضر قتاده قاضى قضاءه البصره عند الإمام أبى جعفر محمد ابن على ((عليه السلام)) قال: «أصلحك الله يا بن رسول الله، والله لقد جلستُ بين يدى الفقهاء وقُدَّام ابن عبَّاس، فما اضطرب قلبى قُدَّام واحد منهم ما اضطرب قُدَّامك؟ فقال أبو جعفر: ((أما تدرى أين أنت؟! أنت بين يدى ((بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصِيَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)) ونحن أولئك)). فقال له قتاده: صدقت والله جعلنى الله فداك ما هى بيوت حجاره ولاطين». الخبر. فقد ظهر: أن البيوت أعم من ذلك.

معنى رفع البيوت

كما أن الرفع بإطلاقه يعم جميع معانيه: فكما أن رفعها يكون بالسير إليها؛ لأخذ علومهم ومعارفهم التي ورثوها عن لسان الوحي، وارتضعوها من ثدى الرسالة. كذلك يكون بالتعهد لمشاهدتهم وضرائحهم، والتبرك بها وتعظيمها، والدعاء عندها وبتعميرها وبنائها وتشييدها؛ لقوله تعالى: ((رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا))، وقوله تعالى: ((وَأَذِيزُفَعُ إِبرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ)). ويؤيد هذا المعنى من الرفع حديث أبى عامر البنانى واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق ((عليهما السلام))، وقلت له: يا بن رسول الله ما لمن زار قبره يعنى أمير المؤمنين وعمّر تربته؟

ص: ٦٨

قال: يا أبا عامر، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن عليّ، عن عليّ ((عليهما السلام)): أن رسول الله قال: ((والله لتقتلن بأرض العراق وتُدفن بها. قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك، بقاعاً من بقاع الجنّة، وعَرَصَه من عَرَصَاتِهَا، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوه من عباده، تحنّ إليكم، وتحتمل المذلّة والأذى، فيعمرون قبوركم، ويكثرّون زيارتها تقرباً منهم إلى الله ومودّه منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة. يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها، فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس. ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه. فأبشر وبشر محبيك من النعيم وقُرّه العين بما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولكن حُثّاله من الناس يعيرون زوّار قبوركم كما تعيّر الزانية بزناؤها، أولئك شرار أمتي، لا أنا لهم الله شفاعتي، ولا يردون حوضي)). رواه السيّد الإمام المعظم الزاهد العابد، أبو المظفر غياث الدين بن طاوس الحسيني بسلسله إسناده، عن عماره بن يزيد، عن أبي عامر البناني. ورواه غير واحد بإسناد آخر، كما رواه الشيخ العلامة عن محمد بن علي بن الفضل. فالحديث يدلّ على تعمير القباب، وعليه استمرار طريقه الأصحاب.

الوسيلة إلى الله

ومنها: قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)).

ص: ٦٩

ولا شك أن حسن التوسيل إنما يحكم به الأدلة الأربعة؛ من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، بل وعرف العادات في الملوك والسلاطين. وهل العبادات والطاعات إلا القربات والوسائل لنيل المثوبات؟! أو لا ترى أن لرفع الحاجات إلى الله وسائل واقعية، من الدعاء والإلحاح ونوافل الصلوات والصدقات وأنحاء القربات؛ من الذبائح والتوسيلات. وذلك لأنها جرت عادة الله في الأمور مجرى العرف والعادة بتوسيط الأسباب والمسببات، فجعل للعقاير دخلا في الاستشفاء بها وأثرا في عالم الطبيعه، وهو خالق الطبيعه وجاعل آثارها فيها. ولكل نفل من العباده خواص وآثار تزداد لفاعلهآ آثارها، وهو تعالى يقدر على إعطائها بدونها، مع علمه بحوائج عباده ولطفه الشامل لخلقه، وجواز قضائها وإنجاحها بعلمه من غير توسيط تلك الوسائل، ولولا ذلك لزم إلغاء كثير من العمومات الآمره بها، ولكان الأمر بها لغواً وعبثاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. مع أن المشهود من الإجابة بتوسيطها ضروري محسوس لا ينكره إلا مكابر. ولا يتخلف المشروط بها إذا لم يكن محتوماً، وكان موافقاً لحكمته ومشيته تعالى، كما أنها ربما تتخلف إن بلغت المسمى المحتوم، كما قال ((عليه السلام)): ((يامن لا تبدل حكمته الوسائل)). ألم تر أن الله قال لمريم++ وهزى إليك الجذع تساقط الرطب فلو شاء أن تجنيه من غير هزه++ جنته ولكن كل شيء له سبب فمن شده رأفته تعالى بعباده جعل لهم وسائل بينه وبينهم؛ ليتشفعوا للمرضين منهم بإذنه، وللمتخذين عهد التوحيد والإيمان به بكرمه ورحمته، كما قال: ((ولا يشفعون إلا لمن ارتضى))، أو ((من اتخذ عند الرحمن عهداً)).

ص: ٧٠

فلا بأس بمن توسل إلى الله بمعظم؛ من قرآن أو نبي أو وصي أو ولي ونحوها من آياته العظيمة، وسأل الله بحقهم، فإن حق الشيء وحاقه وسطه، وأوساطه، وهم الوسائط بين عباده. قال الجوهرى: سقط فلان على حاق رأسه؛ أى وسط رأسه، وجنته فى حاق الشتاء، أى وسطه. والفيروز آبادى: حقه وحاقه وسطه. والمخلوقيه مِمَّا لا تمنع الوساطه، بل وإنما تؤكد العلاقة العابدية والمعبودية، وتؤيد ربطها بها ربط المتضايقين، بل وهى الأنسب بمقام العبودية بما فيها من الإشارة إلى جلاله مولاه وعظمه معبوده. فتفسير بعضهم الوسيله بخصوص الفرائض مع ما عرفت أنها تعم الوسائل إلى الله كلها تفسير بالرأى. قال ابن الأثير فى «النهاية» فى حديث الأذان: أَللَّهُمَّ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ؛ هى فى الأصل ما يتوصّل به إلى الشيء ويتقرّب به، وجمعها وسائل. يقال: وسّل إليه وسيله وتوسّل، والمراد به فى الحديث القرب من الله، وقيل: هى الشفاعة. انتهى. وفى تفسير «الكشف والبيان» لأبى إسحاق الثعلبى عن الإمام جعفر بن محمد ((عليهما السلام)) أنه قال: ((ابتغوا إليه الوسيله: تقربوا إليه بالامام)). وهب أن المراد من الوسيله الفريضة، أوليست الموده لذوى القربى من الفرائض؟! بل وأهمها المسؤول عنها فى قوله تعالى: ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)). وإذ قد تبين من الآيات ثبوت الشفاعة للمرضيين وللمتخذين عهد توحيدهم وإيمانهم برّب العالمين. وظهر: أن اتّخاذ العهد والارتضاء بحسب الإيمان ممّا لا يُنافى عدمها باعتبار

ص: ٧١

فسق المعصية، كما تقدّم، فلا توجب المعصية ارتداداً وكفراً، ولا تخرج العباد عن الارتضاء شيئاً، فقد ثبت أنّ المعاصي ليست علّه تامّه للتعذيب، وإنّما هي مقتضيات لولا المانع عن التأثير. فكما أنّ الله جعل بفضلته وكرمه الندم عن المعصية توبهً وعفواً، فلا غرو أن جعل الله الأمر بابتغاء الوسيلة بأوليائه، وإيجاب فرض المودّه لذوى قربي نبيّه وأطائب عترته ولحمته، مانعاً لها رافعاً لتأثيرها، ماحياً لموضوعها، مقرّباً لأوليائهم إلى الله، موجباً لنيل حوائجهم وإن رغم الراغمون، وهنالكَ يخسر المبطلون. ثمّ لا يخفى أنّ تفسيرهم الوسيلة هنا، ليس بأعجب من تفسيرهم ((الإمام)) في الحديث المتواتر عن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية)) (١). حيث قالوا: إنّ المراد من الإمام القرآن؟ مع وضوح فساده، الظاهر من إضافته الإمام إلى الزمان، المضاف إلى ما صدق عليه الموصول في الحديث. مع أنّ القرآن إنّما هو الإمام المستمرّ الباقي، الذي لا يختصّ بزمان دون زمان. فلم يكن لتفسيرهم في المقامين وجه، فتدبّر.

١- وفي مسند أحمد ٤/٩٦: من مات بغير إمام... وفي المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١/٧٧ و ١١٧: ومن مات وليس عليه إمام... ونقله في مجمع الزوائد ٥/٢٢٤، ورواه بلفظ بغير إمام في مجمع الزوائد ٥/٢١٨، وبلغ: ليس لإمام... ٥/٢١٩، ورواه في كنز العمال ١/١٠٣ بلفظ ((بغير إمام)) عن أحمد والطبراني، وبلغ ((ليس عليه إمام)) في ١/٢٠٧ وانظر ٢٠٨ و ٦/٦٥، ولكن أكثر مصادر الحديث اثبتوها بألفاظ أخرى مثل ((بغير سلطان، أو أمير أو بغير طاعه، أو من فارق الجماعة، أو ليس في عنقه بيعه...)) ولا حظ قوله ((صلى الله عليه وآله)): يا علي، من مات وهو يبغضك مات ميتة جاهلية. رواه الطبراني في الكبير رواه في مجمع الزوائد ٩/١١١ و ٩/١٢١ و ١٢٢، وكنز العمال ١١/٦١١ و ١٣/١٥٩.

ص: ٧٢

التوسل بالنبي

هذا، وقد صحَّ حديث التوسل بالنبي من أعيان الصحابة من قبل، بل والتوسل بغير النبي من الصحابة. ومن ذلك حديث استسقاء عمر بن الخطاب بوجه عباس بن عبد المطلب عم النبي، وقوله: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ فَاسْقِنَا». رواه البخارى فى الصحيح. مع أن صحَّه التوسل بغير النبي ممَّا يدلُّ بالفحوى على التوسل بأطائب عترته وأهل بيته. ورواه ابن عبد البر فى «الاستيعاب»، وغيره فى غيره، وفيه: «فَأَرْزَخَتِ السَّمَاءُ عَزَائِيهَا (١)»، فأخصبت الأرض. فقال عمر: «هذه والله الوسيلة إلى الله والمكان منه».

تعظيم الشعائر

ومنها قوله تعالى فى سورة الحج: ((وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)). فسِر الشعائر بمعالم الدين وطرقه المنصوبه إلى الله تعالى وإلى معارفه، بل وإطلاقه شامل لكلِّ ما يُشعر ويشير إليه تعالى ويعرّفه سبحانه. ففى «النهاية» لابن الأثير عن الأزهري قال: الشعائر المعالم التى ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها. وقال السيوطى: الشعار العلامه، فالبدنه وهى النُّسُك للحاج القارن من

١- العزالي والعزالي: مصب الماء من القرية ونحوها.

ص: ٧٣

إحدى مصاديق الشعار، كما هو الظاهر من قرينه «من» التبعية، ودخولها على منتهى الجموع. على أن ذكر البعض مما لا ينافي ثبوت الآخرين، فتخصيص الشعائر بالهدى والنسك خاصه دون غيره، تخصيص بلا دليل. فإن قلت: إن الدليل هو الجعل فيه دون غيره، فتكون النسك مجعولا في الشعاريه. قلت: لما كانت البدنه لذاتها مع قطع النظر من اعتبار النسك للهج، غير ظاهره في الشعاريه، كما أن النعل وتقليدها أيضاً كذلك، فكانت لا جرم تحتاج إلى ما يصرفها إليها، وهو قرينه الجعل. كما أن الصفا والمروه والهروله فيهما، مما هي بذاتها مفتقره إليها، ولم تكن غتية عنها، فنص عليها بقوله تعالى: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)). بخلاف ما إذا كان الشيء ظاهراً في الشعاريه، فإنه لا يحتاج إليها، فالتمسك بإطلاق الشعار كاف في مصاديقه ما لم يقيم دليل على خلافه في الشعاريه. هذا، وأنت ترى أن المشاهد والقباب المشرفه للأئمه وأكابر الصحابه من عتره الرسول، بمظهريتها عن أولئك الأطائب، من آيات الله وحمله علمه ووحيه وحماه دينه وشريعته والدعاه إليه، من أظهر مصاديق الشعائر؟ كيف، وهي البيوت التي ((أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)). كما أن الحلل والحلل والزينه اللائمه بها فيها، مما يقصد بها الأبهه الدينيه، تجاه الأجانب من منكرى دين النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم))، ربما تعد أيضاً من الشعائر. هذا كله لأن تعظيم ما هو شعائر الله مما يرجع إلى تعظيم الله سبحانه، بل هو تعظيمه في الحقيقه، والإنفاق في هذه السبيل إنما هو من امتحان القلب للفقوى تقوى القلب.

ص: ٧٤

قال الرازي في قوله تعالى: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَقْوَى))، أى امتحنها ليعلم منه التقوى، فإنّ من يعظّم واحداً من أبناء جنسه لكونه رسولا مُرسلاً، يكون تعظيمه للمُرسل أعظم، وخوفه منه أقوى. وهذا كما فى قوله تعالى: ((وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)) أى تعظيم أوامر الله تعالى من تقوى القلوب. انتهى.

تعظيم حرّامات الله

ومنها: قوله تعالى فى سورة الحجّ: ((وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَيْزٌ لَهُ)). والحرمة والحرّامات والحرام ما لا- يحلّ انتهاكه، وقيل: ما وجب القيام به، وحرّم التفريط فيه. وتعظيمها ترك ملابستها تعظيماً لله سبحانه، وتكريماً وإجلالاً لأمره ونهيه، ومنه المشعر الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام، كلّ هذا باعتبار وجوب رعايه القيام بتعظيمها وحرمة انتهاكها، والتبرّك بها بإضافتها إلى معظّمها. وعقد الإحرام هو الالتزام بتروكه والإتيان بواجباته. والمحرّم للحجّ هو الممنوع عمّا حرّمه الله عليه بدخوله فى حرمة. وتكبيره الإحرام؛ لأنّ المصلّى يكون معها ممنوعاً من الكلام ومن سائر المنافيات. والمسلم محرم؛ أى يحرم أذاه؛ يعنى بتسليمه إلى الله وخضوعه لوجه الله كأنه داخل فى حرم الله. فحرمة هذه العناوين كلّها بسبب إضافتها التشريفية وانتسابها إلى مشرفها ومظهريّتها عنه سبحانه.

ص: ٧٥

ومنه قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) في «أُحُد» كما في «صحيح البخارى» عن النبي لما طلع له «أُحُد»، فقال: ((هذا جبل يُحِبُّنا ونُحِبُّه. اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، يَعْنِي الْمَدِينَةَ)) (١). فتخصيصها بالمناسك دون غيرها تخصيص بغير دليل، والإطلاق كاف لشموله جميع المصاديق، كما تقدّم في الشعائر، وقرينه اتصالها بآية النُّسك لا تزيد على الإشارة إلى إحدى مصاديقها شيئاً، فكيف بتخصيصها بها؟! هذا وقد ورد في تفسير أهل البيت وباطن القرآن تفسيرها بهم ((عليهم السلام))، كما عن الإمام أبى جعفر محمد بن على الباقر ((عليهما السلام)) في المعتبر أنه قال: ((نحن حرّات الله الأكبر)). وفي المروى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ((عليهما السلام)) أنه قال: ((إِنَّ لِلَّهِ حَرَمَاتٍ ثَلَاثًا لَيْسَ مِثْلَهُنَّ: كِتَابُهُ هُوَ حُكْمَتُهُ وَنُورُهُ، وَبَيْتُهُ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلنَّاسِ، وَعَتْرَهُ نَبِيِّكُمْ)) (٢). وفي المرفوعه عن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قال: ((سِتَّةٌ لِعَنْتُهُمْ وَلِعَنْهُمْ اللَّهُ، وَكُلُّ نَبِيٍّ مَجَابٍ: الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَالْمَكْذَبُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَالْمَتَسَلِّطُ بِالْجَبْرُوتِ، لِيَذَلَ مَنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ، وَيَعَزَّ مَنْ أَذَلَّهُ اللَّهُ، وَالْمَسْتَحَلُّ لِحَرَمِ اللَّهِ، وَالْمَسْتَحَلُّ لِعَتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالتَّارِكُ لِسُنَّتِي)).

الاعتصام بجبل الله

ومنها: قوله تعالى في سورة آل عمران: ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

١- صحيح البخارى ٥/١٣٦ باب نزول النبي ((صلى الله عليه وآله)) الحجر.

٢- رواه الصدوق الإمامي في كتابه ((معانى الأخبار ص ١١٨ وانظر كتابه الخصال ص ١٤٦ باب: لله عزّ وجلّ حرّات ثلاث)).

ص: ٧٦

وَلَا تَفَرُّوْا)). قال الرازى فى هذه الآيه: أمر الله بالتمسك والاعتصام بما هو كالأصل لجميع الخيرات والطاعات، وهو الاعتصام بحبل الله. واعلم أن كل من يمشى على طريق دقيق يخاف أن تزلق رجله، فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك الطريق، أمن من الخوف. ولا شك أن طريق الحق طريق دقيق، وقد زلقت أرجل الكثير من الخلق عنه، فمن اعتصم بدلائل الله وبيئاته، فإنه يأمن من ذلك الخوف. فكأن المراد من الحبل ههنا كل شىء يمكن التوصل به إلى الحق فى طريق الدين، وهو أنواع كثيرة. ثم عد منها العهد فى قوله تعالى: ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِي)). ومنها القرآن... إلى قوله: وروى عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من الأرض عترتى أهل بيتي)) والحديث متواتر بين الفريقين (١). وزاد فيما رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل، وأخرجه بإسناده عن ابن نمير، عن عبدالملك بن سليمان، عن عطيه العوفى، عن أبى سعيد الخدرى، عن

١- حديث الثقلين متواتر بحكم جمع من أعلام الحديث وهو على كل حال مجمع على صحته، فأورده مسلم فى صحيحه ١٢٣٧/١٢٢، وبشرح النووى ١٥/١٧٩ ١٨١، وأحمد فى المسند ٣/١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ و ٤/٣٧١، والدارمى فى السنن ٢/٤٣٢، والحاكم فى المستدرک على الصحيحين ٣/١٠٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين و ٣/١٤٨ وقال مثله، والبيهقى فى السنن الكبرى ٧/٣٠ و ١٠/١١٤، وانظر مجمع الزوائد للهيثمى ٩/١٦٣، وكنز العمال ١/١٨٦ و ٥/٢٩٠ و ١٣/١٠٤ و ٣/٦٤١ و ١٤/٤٣٥، وأقرأ بحثاً مفصلاً عن الحديث ومصادره ودلالته فى مجله ((علوم الحديث)) العدد الأول لسنة ١٤١٨هـ.

ص: ٧٧

رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) أنه قال بعده: ((إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)). وقال: قال ابن نمير: قال بعض أصحابنا عن الأعمش أنه قال: ((أَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا)). وفي روايه: ((أَلَا- وَإِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: الثَّقَلِ الْأَكْبَرِ الْقُرْآنَ، وَالثَّقَلِ الْأَصْغَرَ عَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَهُمَا حَبْلُ اللَّهِ مَمْدُودٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا / سَبَبٌ أَوْ طَرَفٌ مِنْهُ بِيَدِ اللَّهِ وَسَبَبٌ بِأَيْدِيكُمْ / إِنْ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ قَدْ تَبَأْنِي أَنْهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَأَصْبَعَيْ هَاتَيْنِ وَجَمَعَ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ)) الحديث. وعن تفسير «الكشف والبيان» لأبي إسحاق الثعلبي في هذه الآية، روى بإسناده، رفعه إلى الإمام جعفر بن محمد ((عليهما السلام)) أنه قال: ((نَحْنُ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا))))). وفي حديث العنبري وقوله: ((يا رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) ما هذا الحبل الذي أمرنا الله بالاعتصام به والألّا نتفرّق عنه؟ فأطرق مليّاً، ثم رفع رأسه، وأشار بيده إلى عليّ بن أبي طالب، وقال: هذا حبل الله الذي من تمسّيك به عُصْمٌ به في دنياه، ولم يضلّ به في آخرته. فوثب الرجل إلى عليّ ((عليه السلام))، فاحتضنه من وراء ظهره، وهو يقول: اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله)) الحديث. وفي حديث محمد بن عبد الله المعمر الطبري الناصبي بطبريه سنة ٣٣٣ رواه في وفد اليمانيّين على رسول الله، والحديث مشهور إلى قوله: ((فقالوا يا رسول الله بين لنا ما هذا الحبل؟ فقال ((صلى الله عليه وآله وسلم)): هو قول الله: ((إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ)) فالحبل من الله كتابه، والحبل من الناس وصيّتي، ولم يعلم تأويله إلا الله)) الحديث. فالآية كناية عن الالتزام بموَدّه ذوى القربى من أهل البيت وأخذ العلم منهم

ص: ٧٨

والتعظيم لآثارهم. ومثله «العروه الوثقى» فيما أخرجه أبو المؤيد موقّ ابن أحمد، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، قال: قال رسول الله لعليّ (عليه السلام): ((أنت العروه الوثقى)).

ابواب البيوت

ومنها: قوله تعالى: ((وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)). والتقريب: أنّ الهداه من عتره الرسول إنّما هم أبواب مدينه علمه وخزنه وحيه ورسالته، لقوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((أنا مدينه العلم وعليّ بابها، ولا تُؤتى البيوتُ إلا من أبوابها)) (١). والحديث متواتر اللفظ والمعنى فى طرق الفريقين. ورواه ابن بطريق فى ((العمده)) بإسناده عن ابن المغازلى الواسطى الفقيه الشافعى فى «المناقب» بإسناده عن على بن عمر، عن حذيفه، عنه ((صلى الله عليه وآله وسلم))، وفى غير: ((أنا مدينه الحكمه وعليّ بابها))، ومن أراد الحكمه فليأت الباب)). وفيما أخرجه المناوى عن الترمذى ((أنا دار الحكمه))، وفى بعضها ما رواه بإسناده عن ابن المغازلى، عن أحمد بن محمد بن عيسى سنه عشر وثلاث مائه معنعناً عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) أنه قال: ((يا عليّ أنا المدينه وأنت الباب، كذب من زعم أنه يصل المدينه إلا من الباب)).

١- أورده الحاكم فى المستدرک على الصحيحين ٣/١٢٧، وفى مجمع الزوائد ٩/١١٤، وكنز العمال ١٣/١٤٨ وتكلموا حول إسناده. وقد أشبع الإمام المجهتد الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى المغربى المتوفى ((١٣٨٠هـ)) البحث عنه، وأثبت صحته فى كتاب ((فتح الملك العليّ بصره حديث باب مدينه العلم على)) المطبوع طبعه ثانية بالقاهره عام ١٣٨٩هـ.

ص: ٧٩

قال الرازي: فجعل الله إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، وإتيانها من أبوابها كناية عن التمسك بالطريق المستقيم، وهذا طريق مشهور في الكناية، فإن من أرشد غيره على الوجه الصواب، يقول له: ينبغي أن تأتي الأمر من بابه، وفي ضده يقال: إنه ذهب إلى الشيء من غير بابه. قال الله: ((فَتَبَيَّنُوا لَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ))، وقال: ((وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَ كُمِ ظَهْرِيًّا)). فلما كان هذا طريقاً مشهوراً معتاداً في الكنايات ذكره الله ههنا. انتهى. فقد ظهر: أن الآية كناية عن التمسك والتوسل بأهل البيت.

اتخاذ المساجد

ومنها قوله تعالى في سورة الكهف: ((وَقَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)). دلت الآية بالتقرير والإمضاء على جواز العبادة عند قبور الأولياء والصالحين، بل وعلى اتخاذها للمسجدية تبريكا للمكان. ففي «تفسير الجلالين» و«الكشاف» وأبي السعود: ((الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ)) وهم المؤمنون ((لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)) يصلون فيه المسلمون، ويتبركون بمكانهم، وفعل ذلك على باب الكهف. انتهى. ومما أخرجه المناوي في «الكنوز» (١) عن الديلمي عنه ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((إن بمسجد الخيف قبر سبعين نبياً)) ورواه أيضاً في ((صفحة ١٠٥)) عن الطبراني. وفي ((صفحة ٤١)) فيما أخرجه عن الحكيم الترمذي في «النوادر» قوله ((عليه السلام)): أن قبر إسماعيل في الحجر، ورواه أيضاً «صفحة ١٠٦» عن الديلمي.

ص: ٨٠

الوهابيون والشعائر

هذا كله، مع ما كان الأحرى والأجدر بهؤلاء النجديين في صيانتهم لشعائر الدين، ووجوب التحفظ والرعاية لحرمة رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) في أطائب عترته ولحمته وأركان أصحابه وأعاضم العلماء والشهداء من حمله وحيه وعلمه. إبقاء ما أثرهم وضرائحهم وبقاعهم التي كان قد بناها المسلمون، أداءً لفرض الموّده وأجر الرسالة. كما كان الأوفى والأصلح لهم بجمع الكلمة واجتماع الأمم، التبيين والتثبت فيما بلغهم عن موّخدي المسلمين من الإفك العظيم، أو راموها بظنونهم فيهم، فرموهم بها. لا التهجم عليهم بالهمجية بهدم قباب هؤلاء الأئمة وأطائب العتره، ففعلوا ما فعلوا، والتاريخ يعلن عما فعلوا، وأغضبوا الله ورسوله. كما كان الأوفى والأقرب بالنّصف أن يكون لهؤلاء غنى فيما استدللّ به السّمهودى والسبكي والمدنى والنووى والمناوى بالإجماع والكتاب والسّنة على الزيارات والتوسّلات. وفيما أرسل إليهم الشيخ الوحيد والمصلح الكبير بذلك الكتاب الناصح المشفق؛ بما فيه من الدلائل الواضحة والبراهين القويّة، من الكتاب والسّنة وإجماع الأمم في جوامع ما عليه الإماميّة من التوحيد وتنزيهم عن إفك الشرك لو أنصفوا ولم يعودوا.

اهداف الفرقة

وكان الباعث لهم في الحقيقة إلى تعذيب المسلمين وإلقاء نار الشقاق في الموّخديين، هو ما تمكّن في نفوسهم من حبّ الاستئثار بالسطوة والسلطان،

ص: ٨١

وجشع استعمار البلاد، واسترقاق العباد، من غير رأفه ولا رقه ولا شفقه بإخوانهم في الدين، فضلاً عن البشريه. فقاموا بمقتضاه وشمروا على هتك حرمة الله، ولقد جاؤوا بها شيئاً إداً ((تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَيْدًا)). وأما بحسب الظاهر فبجهلهم وجمودهم:

شبهه تسنيم القبور

فتاره بشبهه التمسك بحديث أبي الهياج المروى في صحيح مسلم في قوله: ((لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)) (١). مع وضوح فساد التمسك به بما تقدم من السير النبويه، وما ورد من أمره ((صلى الله عليه وآله وسلم)) بزياره القبور وحثه (عليها) وتعاهدها والدعاء عندها. والنبى من لا ينطق عن الهوى ((إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)). كيف يأمر بهدم القبور من هو يأمر بزيارتها؟! أم كيف يأمر بهدمها وهو يزورها، ويقف عليها، ويدعو الله عندها؟! على أن تسويه القبور وتسطيحها وتعديلها المقابل لتسنيمها، المشتق من سنام البعير شرفه وعُلوّه، كما يدلّ عليه قوله: مُشْرِفاً، وإلا كان هذا القيد لغواً عبثاً. وعليه فالحديث يدلّ على مرجوحية التسنيم للقبور الذى أخذته العامه لها شعاراً، مع مخالفته فعل رسول الله بتسطيحه قبر ولده إبراهيم، وكما استشهاد به لذلك شراح الحديث كالقسطلانى وغيره. ويدلّ بمفهومه على أفضلية ما ذهبت إليه الإماميه، ووافقهم عليه الإمام

ص: ٨٢

الشافعي من التسطیح. هذا، مع أن الحديث بمعزل عن ذلك كله لوروده مورد قبور عظماء الكفار وتمائيلهم وآلهتهم هناك. وفي ذم اليهود والنصارى من كفسار الحبشه، وما كانوا عليه من اتخاذهم لقبور صلحاء موتاهم كهيته تمثال صاحب القبر أصناماً يعبدونها من دون الله. فأمر النبي علياً ((عليه السلام)) بطمس تلك الهياكل والتماثيل وهدمها وتخریبها ومحوها ومساواتها، ويدل عليه قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((ولا تدع تمثالاً)).

اتخاذ القبور مساجد

ومثلها ما ورد من (الأحاديث) الناهية عن اتخاذ القبور مساجد للصلاه. والمغالطه فيها، فإنها كما ترى مقيدة بما كان (عليه) اليهود وغيرهم من المشركين، كانوا يمثلون هناك الصور والتماثيل لصاحب القبر. أو ما كانوا يجعلون البارز من القبر قبله يستقبلونها بأى جهه كانت، ويصلون تجاهها، فنهى النبي عن ذلك. حتى أنه روى البخارى عن أنس قال: ((كان قِرامٌ لعائشه أى ستر خفيف سترت به جانب بيتها، فقال النبي: أميطى عنّا قِرامك، فإنه لا يزال تصاويره تعرض فى صلاتى)) (١). وكل هذا ممّا لا ينكره أحد من المسلمين. ويدل على الوجه الأول: ما رواه كل من البخارى ومسلم فى صحيحه عن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) أنه قال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات فبنوا على قبره

ص: ٨٣

مسجداً وصوّروا فيه تلك الصورة)) (١). وعلى الوجه الثانى: ما ورد أيضاً فى الصحيحين عن عائشه عن النبى قوله: ((لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) (٢). ولذلك قالت عائشه: «ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتّخذ مسجداً» (٣). فالظاهر من الروايه بمساعده ما فهمته عائشه منها، بحيث لم يُنكر عليها أحد ممّن روى الخبر عنها: أن المنهى عنه إنّما هو خصوص الصلاه إلى القبر باتّخاذ البارز من القبر قبله. لا مجرد الصلاه عند القبر بالتوجّه إلى الكعبه. وقد عرفت صحّه الاتّخاذ بهذا المعنى فيما مضى وستأتى الحجّه عليه من القرآن والسُّنّه الصحيحه. وهذا معنى الحديث. ولولا ذلك لما كان الإبراز سبباً لحصول الخشيه، فإنّ المخشى منه هو استقبال القبر بجعله واتّخاذه قبله، وأما الصلاه إلى الكعبه فمما لا يتوقّف على البارز. ويؤكّد هذا المعنى للحديث صريح ما رواه المناوى (٤)، وأخرجه عن ابن حبان فى صحيحه: ((أنّ النبى نهى عن الصلاه إلى القبور)).

الصلاه فى المقابر

ومثله فى الوهن ما أوردوه من الشبهه فى النهى عن الصلاه فى المقابر.

- ١- صحيح البخارى ١/١١١ و ١١٢ و ٤/٢٤٥، وصحيح مسلم ٢/٦٦.
- ٢- صحيح البخارى ١/١١٠ و ١١٢ و ١١٣، و ٢/٩١ و ١٠٦، و ٤/١٤٤، و ٥/١٣٩ و ١٤٠، و ٧/٤١، وصحيح مسلم ٢/٦٧.
- ٣- لاحظ صحيح البخارى ٢/٩١، ولاحظ ص ١٠٦ و ٥/١٣٩، وصحيح مسلم ٢/٦٧.
- ٤- فى ص ١٦٩ من الكنوز.

ص: ٨٤

وكذا كل ما يتشبه به الوهايتون من المناهى حول عنوان القبر ؛ من التجصيص والتجديد والكتابه عليها، كما تراها بمعزل عما رموا به المسلمين. فإن المشاهد المشرفه مما ليس هناك قبر بارز، وإنما هو مجرد الصندوق والشباك الواقعين على السرداب الأجنبى عن القبر ؛ ليكون حريماً وعلامه لا يوطأ ولا يُصلّى عليه، عملاً بالنهى. هذا، مع أنّ النهى محمول على الكراهه، بل ومخصوص بمافسره شراح الحديث. وقد قال ابن الأثير فى «النهايه»، وإنما النهى عن الصلاه فى المقابر، لاختلاط تراها بصديد الموتى، وإلا فإن صلّى فى مكان طاهر منها صحت صلاته. قال: ومنه الحديث: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر)) أى لا تجعلوها كالقبور، فلا تصلّوا فيها، فإنّ العبد إذا مات، وصار فى قبره لم يصلّ، ويشهد له قوله ((صلّى الله عليه وآله وسلم)): ((اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً)). انتهى كلامه. وهذا أحمد بن حنبل، فقد روى فى مسنده ما يفسر الحديثين المذكورين، كما روى عنه المناوى فى «الكنوز». أما بالنسبه إلى العنوان الأول ؛ أى اتّخاذ القبور مساجد: فقد روى عن مسنده (١) عن النبى أنه قال: ((لا تجلسوا على القبور ولا تصلّوا إليها)). وما روى فيه أيضا عن الطبرانى فى الحديث قوله ((صلّى الله عليه وآله وسلم)): ((لا تصلّوا إلى قبر، ولا على قبر)). وأما بالنسبه إلى العنوان الثانى: فقد روى عن مسند أحمد (٢) عن النبى قال: ((لا تتخذوا بيوتكم قبوراً، صلّوا فيها)).

١- كنوز المناوى ص ١٨١، ومسند أحمد ٤/١٣٥.

٢- كنوز المناوى ص ١٧٩، ومسند أحمد ٤/١١٤.

ص: ٨٥

ومثله ما تقدّمه عن ابن الأثير. فلا يغنى المتكلف مطلق النهي، ولا النهي عن مطلق الاتّخاذ. نعم هكذا يُراد قتل الحقائق، ورمى عباد الله الموحّدين بسهم العصبية، فانظر وراجع وانتصف. فأين مناسبه هذه الروايات لما رامه الجاهل المعاند؟! ويا ليتهم دروا من الروايات مواردّها، أو من التسوية والمساواة اشتقاقها. وليتهم إذا لم يدروا وقفوا، ولم يُفتوا.

البناء في الأرض المسبلة

كما أطالوا الكلام تارة حول الأرض المُسبلة، وأفتوا بغير ما أنزل الله ﷻ؛ لشبهه أن البناء في المُسبلة مانع عن الانتفاع بالمقدار المبني عليه، فهو غصب يجب رفعه، وبه أفتى قاضى قضاتهم على هتك حُرّمات الله. ومن الواضح أن هذه المختصّات من الأبنية وغيرها في نظر الشارع الإسلامى، كأماكن لا يسوغ لغير مالِكها أو من يقوم مقامه فى التصرف فيها. مع ما تقدّم من وجوب حرمة المؤمن ميتاً كوجوبه حيّاً، فيحرم هتك حرمة بهدم حرمة وقبره. وكيف التجرؤ عليه بمجرد دعوى التسييل من غير حجّة ودليل؟ على أن مقتضى القاعده فيها ونظائرها التمسك فى الإباحه الأصليّه مالم يثبت هناك عروض الملكيه، ودونه خُرط القتاد. وحيث لم يقرع سمع أحد من المسلمين، ولم يوجد حديث أو تاريخ على أن البقيع ممّا استملكها أحد، ثم وقفها أحد وسبّلها لدفن الموتى، فهى باقيه بعد على إباحتها، يحوزها من يشاء من المسلمين من غير أن يتعرّضه أحد، ومع الشكّ فى

ص: ٨٦

العروض يبقى استصحاب الإباحه الأصلية سليمه عن المزاحم. ثم لو فرض مع هذا ثبوت الوقف قبل الحيازه ومن المحال ثبوته فلا ينفع المتكلف بشيء، ولم يسمع منه ذلك إلا بعد إثباته وقوعه منه على غير مجرى عرف أهل المعرفه من المسلمين وعاداتهم في مجارى البر والخير، من الرعايه لحقّ العظيم في الإسلام والمحرّمين من الصحابه والأولياء / ممن يكثر زوّارهم من المسلمين التالين لكتاب الله لديهم وإهداء ثوابها إليهم / عملاً بالسنة المأثوره وقياماً لأداء حقّ عظيم شرفهم في الإسلام. كلاً وليس في المسلمين أحد ممن يوقف مقبره للمسلمين على غير الوجه الأمثل، لرعايه البر والطاعة، والأقرب بأداء الحقوق، والأوفى بتعظيم الشعائر. ولم تزل السيره القطعيه من أكابر الصحابه والتابعين وتابعي التابعين إلى زمان الأئمه الأربعة والخلفاء، من الأمويين والعباسيين، وجهابذه العلماء وأساطين الدين باقتدارهم وسلطنتهم وكمال تضلّعهم في إجراء السنّه ومحو البدعه طول هذه المدّه جاريه في إبقاء ما ثبت من الأبنيه، من غير نكير منهم في حين. وسيرتهم حجّه قاطعه لا يزاحمها شيء، ولم يحتمل أحد منهم أحدوئه التسييل أو توهمه. سوى ماظهر في يومنا هذا من العلم المخزون والديانته المحتكره في أعراب نجد! وهذا أحمد بن تيميه (شيخ إسلام) مؤسس الوهابيه وإمام زعيمهم، ممن صرح بسيره هؤلاء. فحكم في باب الوضوء بغسل الرجلين تمسكاً بها، بأن رعايه الأقرب في العطف في قوله تعالى: ((فَامْسِجُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ)) مما كان يوجب مسح الرجلين، لولا السيره المستمره على الغسل؟ وقد استدلل قاضي قضاة الوهابيين بمكّه المكرمه في الحين بعمل المسلمين على

ص: ٨٧

إمامه من قهر الناس، واستولى عليهم: بأنه على ذلك جرى المسلمون في غالب الأعصار. كما في ((صفحة ٥)) في سؤال وجوابه في مدعى الخلافه المطبوع في سنه ((١٣٤٤)). وفي ((صفحة ٩)) منها حيث قال: كما جرى على ذلك عمل المسلمين من بعد الخلفاء الراشدين. انتهى كلامه.

قبر أئمة البقيع ملك لبني هاشم

هذا، وقد تقدّم ما يشهد به التاريخ على قبة العباس بن عبد المطلب، المحتوى على قبور الأئمة الأربعة مع جدّتهم فاطمه بنت رسول الله على قول، وفاطمه بنت أسد، في القرن الأوّل. وما يظهر منها أنه أوّل مقبره في البقيع لبني هاشم بُنيت في دار عقيل بن أبى طالب المختصّه بهم، كما ذكره السمهودى عن عبد العزيز وكما يظهر منه: أنها كانت تُدعى يومئذ مسجد فاطمه. وروى عن الطبرى عن الشيخ أبى العباس المرسى: أنه كان إذا زار البقيع وقف أمام قبه العباس، وسلّم على فاطمه. وفيما حكاه عن ابن جماعه: أن في قبر فاطمه قولين: أحدهما: أنه الصّندوق الذى أمام المصلّى... إلى قوله: وثانيهما: أنه المسجد المنسوب إليها بالبقيع؛ أى البناء المربع فى جهه قبله قبه العباس للمشرق، وهو المعنى بقول الغزالى: ويصلّى فى مسجد فاطمه. انتهى كلامه. وروى عن المسعودى والسبط ابن الجوزى فيما نقله عن الطبرى

ص: ٨٨

المدنى المولود بالمدينه سنه ثلاثين ومائه ما يؤيد هذا المقام. وروى ياسناده عن زيد بن السائب، عن جدّه، أنّ عقيل بن أبى طالب بنى على قبر أمّ حبيبه أمّ المؤمنين بيتاً. قال: قال ابن السائب: فدخلت ذلك البيت ورأيت فيه ذلك القبر انتهى. وبالجملة: وبعدما عرفت كما تقدّم من الحجج الواضحه فى الجواب عن الشبهات بالأحاديث المتشابهات. فبأى وجه تجرّؤوا على هتك حرّامات الله ورسوله فى حرّمه، وسيفك دماء الصالحين من عترته، والموحدّين من أمّته؟! فلا يستخفّهم المهل والاستدراج، فإنّه عزّ وجلّ لا يخفره البدار، ولا يخاف عليه فوت الثار، وهو العالم بالعباد، وبالظالمين لبالمرصاد.

المقامات المهذومه

وهذه مساجد الله ومحاربيّه والمزارات والمقامات والقباب المهذومه بأيدي هؤلاء، أصبحت تشتكى إلى الله. وحرّاماته المهتوكه بظلمهم فى الحرمين الشريفين والطائف، أمست تصرخ وتستغيث بعدل الله ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا)) الآيه. وإليك أسماء القباب الشريفه التى هدموها فى الثامن من شوال سنه ((١٣٤٤)) فى البقيع خارجه وداخله: الأول: قبه أهل البيت ((عليهم السلام)) المحتويه على ضريح سيده النساء فاطمه الزهراء على قول ومراقده الأئمه الأربعة: الحسن السبط، وزين العابدين، ومحمد الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق عليهم الصلاه والسلام، وقبر العباس

ابن عبد المطلب عم النبي، وبعد هدم هذه القباب دَرَسَت الضرائح. الثاني: قُبَّة سيدنا إبراهيم ابن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)). الثالث: قُبَّة أزواج النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)). الرابع: قُبَّة عمّات النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)). الخامس: قُبَّة حليمه السعديه مرضعه النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)). السادس: قُبَّة سيدنا إسماعيل ابن الإمام جعفر بن محمد الصادق ((عليه السلام)). السابع: قُبَّة أبي سعيد الخدرى. الثامن: قُبَّة فاطمه بنت أسد. التاسع: قُبَّة عبدالله والد النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)). العاشر: قُبَّة سيدنا حمزه خارج المدينة. الحادي عشر: قُبَّة على العريضى ابن الإمام جعفر بن محمد خارج المدينة. الثاني عشر: قُبَّة زكى الدين خارج المدينة. الثالث عشر: قُبَّة مالك أبي سعد من شهداء أحد داخل المدينة الرابع عشر: موضع الثنايا خارج المدينة. الخامس عشر: مصرع سيدنا عقيل بن أبي طالب ((عليه السلام)). السادس عشر: سيدنا عثمان بن عفان. السابع عشر: بيت الأحران لفاطمه الزهراء. ومن المساجد مسجد الكوثر، ومسجد الجن، ومسجد أبي القبيس، ومسجد جبل النور، ومسجد الكيش... إلى ما شاء الله. كهدهم من المآثر والمقامات وسائر الدور والمزارات المحترمه، كما صرّح بها فى ((المفاوضات)).

نهب الأملاك والأموال

هذا، بعدما نهبوا جميع ما فيها. كما قد نهبوا حرم النبي من قبل، ولم يراعوا حرمة، فأخذوا في تلك السنة ما كان في خزانه الرسول من الحُلَى والحُلَى، كما عن تاريخ عجائب الآثار للجبروتى. قال فى ضمن تاريخ سنة ١٢٢٣: يقال: إنّه ملأ الوهابى أربعة صناديق من الجواهر المحلّاه بالألماس والياقوت العظيمة القدر. من ذلك أربع شمعدانات من الزُّمُرْد وبدل الشمعه قطعه الماس تضىء فى الظلام. ونحو مائه سيف لا- تُقوّم قِراباتها، ملبّسه بالذهب الخالص، ومنزّل عليها ألماس والياقوت، ونصابها من الزُّمُرْد واليشم ونحو ذلك، ونصلها من الحديد الموصوف، وعليها أسماء الملوك والخلفاء، السالفين. وليت شعري بأى حقّ لهم، وبأى وجه نهبوا وأخذوا؟! وبأى حكم حكموا فى أموال المسلمين، وخالفوا كتاب الله و(سُنّه)رسوله وسُنّه الشيخين؟! أو ما ذكر عند عمر بن الخطاب حُلَى الكعبه، فقال قوم: لو أخذته فجّهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبه بالحُلَى؟! فهّم عمر بذلك، وسأل عنه أمير المؤمنين، فقال: ((إنّ القرآن أنزل على النبي والأموال أربعة: أموال المسلمين، فقَسَمها بين الورثه، والفرائض والفقراء، فقَسَمها على مستحقّيها، والخمس فوضعه حيث وضعه، والصدقات فجعلها حيث يجعلها. وكان حُلَى الكعبه فيها يومئذ فتركه الله على حاله، ولم يتركها نسياناً، ولم يخفَ عنه مكاناً فأقرّه حيث أقره الله ورسوله)). فقال عمر: «لولاك لافتضحنا»، وترك الحُلَى بحاله.

سفك الدماء

ثم، وبعدهما اجترؤوا على هتك حرمان الله ورسوله بهدم قبابها ونهب ما فيها، تجاسروا على سفك دماء المسلمين، وأشرف المؤمنين من الموحدين، والساده المنتجين من قاطنى حرم الله، ومجاورى الطائف من بيت الله. وما ذنبهم إلا التوحيد وقراءه القرآن المجيد، فسفكوا دماءهم، وأباحوا أموالهم وأعراضهم وحرائرهم بمزأى من الله ورسوله ونصب عينه. وهم يصرخون ويضجون ويعجون وينادون: يا الله، يا محمدا، يا رسول الله. وكان قد تألف فى هذه السنه ((١٣٤٥)) وفد من أشرف الهند ومؤمنهم، قاصدين إلى الحجاز بعنوان «جمعته خدام الحرمين» وذلك ليتحققوا عظمه سلطان نجد والوهابيين عن مهاجماتهم للطائف والحرمين الشريفين. فسألوهم حول هذه العناوين عن مسائل ((٨٩)) تسعه وثمانين. فكان نتيجة التحقيق من أمر الطائف ما ذكره فى الصحيفه الخامسه، نمرة ((٥)) من منشورها بعنوان «المفاوضات الخطيه» المتبادله المطبوعه فى محروسه الهند، غضون يناير فبراير سنه ((١٩٢٦)). قال: كل أحد حتى السلطان ومستشاره اعترفوا بأن النجديين أعطوا أهل الطائف الأمان، ثم نهبوا تلك البلده، وقتلوا بالرصاص الرجال والنساء. وأخرجوا بعض النساء وحسوهن فى بستان ثلاثه أيام بلا طعام، وبعد ذلك أعطوا لكل مائه شخص منهم كيساً من دقيق. وجزوا أجساد الموتى كما تُجرّ البهائم إلى الدفن بلا صلاه ولا تغسيل. وعذبوا أناساً كثيرين لإخراج الكنوز. وأرسلوا الباقين حفاه عراه إلى مكه. ونهبوا أموال المسلمين كغنيمه.

ص: ٩٢

وأمرء الطائف اليوم في مكّة فقراء، والمخدّرات اللواتى لم تكن غير السماء ترى وجوههن، يشتغلن اليوم بغسل الحوائج وطحن الحنطه بحاله تفتت الأكباد. والسلطان يظهر البراه من هذه الفضائع، ويتمثل فى الجواب عنها بقصّه خالد ابن الوليد. ولكنّه فى الوقت نفسه أخذ خمس الغنائم ومنهوبات المسلمين، ودخل جند ابن السعود مكّه سلماً لا حرباً. وهدموا المساجد والمزارات والقباب والمقامات، وصور أنقاضها لدينا، وسنشرها على حده مع إحصاء المساجد والمزارات والمقامات الجليله المهدمه.

هتك حرمة العقائد

قال: وأما حرمة المعتقدات فهى مفقوده فى الحجاز، وليس للسلطان حرمة والناس يُضربون على قول: «يا رسول الله!» والنجديون إذا طافوا يدفعون الناس ويحرقون المذاهب «المدارس». ودور الكتب أقفلها النجديون أو بعضها. والسلطان أعطى قليلا منها إعانات زهيدة، بشرط تعلم مبادئ الوهاية. والتي لا تفعل، لا تفتح. التدخين: يعاقبون عليه عقاباً شديداً. ولكلّ نجدى الحقّ يانزال العقاب حسب مشيئته. والسلطان يتقاضى رسوم الدخان! ويغرى الناس على جلبه! حتّى إذا شربوه عاقبهم. انتهى. فاعتبر أيها المنصف. أو لم يكن لبلاد المسلمين ولا سيّما لمجاورى حرم الله ورسوله ومن بحماه

ص: ٩٣

حرمة وأمن؟! أو لم يجعل الله لهم بشرف جوارهم احتراماً؟! أو لم يلعن الله ورسوله من حقر مسلماً، أو استحلَّ حرمةً، كما لعن المستحلين لحرمة عترته في الحديث المتقدم؟! أو لم يلعن الله من أحدث في المدينة أو آوى محدثاً؟!

حرمة المدينة

ففي «الكنوز» للمناوى باب الميم قال: ((من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي)) أخرجه من مسند أحمد (١). وفيه عن صحيح ابن حبان: ((من أخاف أهل المدينة أخافه الله)) (٢). وفي «جامع البخارى» قال: ((لو رأيت الطُّبَاءَ بالمدينة ترتع لما ذعرتها))، قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((ما بين لا بئتها حرام)) (٣). وفيه عن النبي: ((لا يكيد أهل المدينة أحد إلا إنماع كما ينماع الملح فى الماء)) (٤). وعن «الجمع بين الصحيحين» للحميدى، من الثامن والأربعين من أفراد مسلم، فى الصحيح من مسند أبى هريره، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريره عن النبي قال: ((المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى مُحدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه عدلاً ولا صرفاً)) (٥).

١- مسند أحمد ٤/٥٥.

٢- لاحظ مجمع الزوائد ٣/٣٠٧.

٣- صحيح البخارى ٢/٢٢١.

٤- صحيح البخارى ٢/٢٢٢.

٥- صحيح البخارى ٢/٢٢١ و ٤/٦٧ و ٨/١٠ و ٨/١٤٨ و صحيح مسلم ٤/١١٥ و ٢١٧.

ص: ٩٤

وزاد في حديث سفيان: ((وذمه المسلمين واحده يسعى بها أدناهم، فمن أحقر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً)). أقول: وبعد ذلك فإن أردت الحقيقة فأنسب حديث الانتحال إلى التوحيد تاره، والتشبهت بحديث أبي الهياج أخرى. ثم اعتبرهما بما ورد من النبي في الصحاح والقياس إلى بعض الأقل من هذه الصادرات، من الدماء المسفوكات وهتك الحرمات، فتجد الحقيقة كالشمس الضاحية.

منع الصلاة على النبي

واعتبرها أيضاً بعد ذلك بحديث المنع من الصلوات على سيد الكائنات. فإن شيخهم وزعيمهم ممن كان يكره الصلوات على رسول الله، ويتأذى من استماعها، ويمنع منها وإعلان بها على المنارات في ليالي الجمعة. وكان بحيث لو سمعها ممن جهر بها عاقبه بها، يزعم أنها منافيه للتوحيد. وقد سبقه إلى هذا عبد الله بن الزبير، فقطعها من الجمعة والجماعة، ومنع عنها أتباعه وأشياعه. قال ابن أبي الحديد فيما رواه عن المدائني، قال: قطع عبدالله بن الزبير في الخطبه ذكر رسول الله جُمعاً كثيره، فاستعظم الناس ذلك. فقال: إنني لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء! إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم، فأنا أحب أن أكبتهم (١).

١- لاحظ تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤١، ومروج الذهب ٣/٨٨.

إلى قوله: ولم يذكر رسول الله في خطبته / لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتبه قوم من خاصته وتشاءوا بذلك منه، وخافوا عاقبته. فقال: ما تركت ذلك علانيه إلا وأنا أقوله سرّاً وأكثر منه، لكن لما رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشترأبوا واحمرت ألوانهم، وطالت رقابهم. والله ما كنت لآتي سروراً وأنا أقدر عليه. والله لقد هممتُ أن أُحْطِرَ لهم حظيره، ثم أضرمها ناراً. فإني لا أقتل منهم إلا آثماً كفّاراً سَخِيراً. لا- أنماهم الله ولا- بارك عليهم. بيت سوء لا- أول لهم ولا- آخر... إلى آخر ما كفر به. ومن بعده زياد ابن أبيه حيث خطب الخطبة البتراء، لم يحمد الله فيها، ولم يصل على النبي وآله، كما في تفسير «مجمع البيان» سورة الكوثر (١). وأما محمد بن عبد الوهّاب: فقد كان في مسجد الدرعية وعاصمه بلده ومركزه، وهو يقول في خطبته: من توسل بالنبي فقد كفر. واعلم أن أمر ابن الزبير وابن سمّيه أهون من أمر الرجل وأشياعه. فإنّ اعتذارهما فيما أنكراه من الصلوات إن كان من أهل محمد، فقد كان الرجل إنكاره من محمد نفسه. والعياذ بالله ممن طبع الله على قلبه وأعماه. مع ما عرفت من إجماع أهل القبلة على وجوب التوسّل به، فكيف

١- لاحظ الصحاح للجوهري ((ماده: بتر)) ٢/٥٨٤، وكذلك لسان العرب.

ص: ٩٦

بالصلوات عليه؟ فلعن الله منكرى الضروره من الدين، وجاحدى آيات القرآن الميين.

الله: يصلى فى القرآن على نبيه

وهذا كتاب الله الحكم الفضل. وقد صلى الله وملائكته على نبيه، فقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)).

خاتمه: من دلائل النبوه: التمهيز من الفتنه**اشاره**

ومن معجزات نبينا الباقيه. ما أخبر به زهاء ألف سنه قبل هذا بظهور هذه الفتنه ممن يسعى ويجد في هدم أعلام الدين وبقية النبيين، وإطفاء آثارهم وتخريب آثارهم ومشاهدتهم وبقاعهم، وتعبير الصالحين من زوارهم والمعاهدين لديهم، فلا يزداد بذلك أمر الله إلا علواً ونوراً، كما أخبر الله تعالى به في قوله: ((وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)).

احاديث تنبىء بالمنع عن الزياره وبالعداء للمشاهد

(١). منها: ما صح لي روايته ورواه الحفاظ وأجله الأثبات والثقات، وهو الحديث المتقدم بإسنادهم إلى عماره بن يزيد، عن أبي عامر البنانى واعظ أهل الحجاز، عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن على ((عليه السلام))، عن أبيه على، عن

١- لاحظ كتاب ((شفاء السقام)) للإمام السبكي في الحث على زياره المشاهد وتعظيمها.

رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) إلى قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((ولكن حثاله من الناس يُعَيِّرُونَ زَوَارِ قُبُورِكُمْ، كما تعير الزانية بزنايتها، أولئك شرار أمتي لا أنا لهم الله شفاعتي، ولا يردون حوضي)) (١). ومنها: ما رواه رئيس المحدثين في المائة الثالثة مولانا الشيخ أبو جعفر محمد بن قولويه (٢)، وأخرجه بإسناده عن الإمام زين العابدين على بن الحسين بن علي بن أبي طالب ((عليهما السلام))، عن عقيله أهل البيت عمته زينب بنت علي بن أبي طالب، عن أبيها أمير المؤمنين ((عليه السلام)). وأخرى روتها عن أم أيمن، عن رسول الله، عن جبرئيل، عن الله عز وجل في حديث طويل يذكر فيه ما سيكون من أمتها، وما يجرى منهم من بعده على أهل بيته، من عظيم شهادته ولده وعترته في يوم الطف... إلى قوله: ((ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفه الكفار، ولم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية، فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء، ويكون علماء لأهل الحق، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفة ملائكه من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة يصلون عليه، ويسبحون الله عنده، ويستغفرون الله لزواره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرتهم وبلدانهم، ويوسمون بميسم نور الله: «هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء»، فإذا كان يوم القيامة

١- رواه الطوسي الإمامي في تهذيب الأحكام ٦/٢٢ و ١٠٧، ورواه العلامة الحلي الإمامي في كتاب منتهى المطلب ٢/٨٩٠، والشهيد في الذكرى ص ٦٩ و ١٥٥، وانظر الحدائق الناضرة ١٧/٤٠٥، وجواهر الكلام ٤/٣٤١ و ٢٠/٩٢، وانظر وسائل الشيعه ١٠/٢٩٨، ومستدرک الوسائل ١٠/٢١٥.

٢- رواه في كامل الزيارات ص ٢٦٥، وعنه في مستدرک الوسائل ١٠/٢٢٩.

يطلع فى وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار تدلّ عليهم ويُعرفون به. وكأنى بك يا محمّد بينى وبين ميكائيل وعلى أماننا، ومعنا من ملائكة الله ما لا تُحصى، ونحن نلتقط من ذلك الميسم فى وجهه من بين الخلائق، حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده. وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا- يريد به غير الله عزّ وجلّ. ثم قال ((صلى الله عليه وآله وسلم)): وسيجدّ أناس ممّن حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تعالى لهم إلى ذلك سبيلاً)). ومما رواه الإمام على بن الحسين ((عليه السلام)) أنها قالت فى حديثها له يوم الطفّ وتسليتها إياه: ((يا بن أخى لا يجزّعنك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد معهود من رسول الله جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا يعرفهم فراعنه أهل الأرض، وهم معروفون فى أهل السموات، وإنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة، فيوارونها، وهذه الجسوم المضّرّجه. وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا- يُدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الأيام والليالى. وليجتهدنّ أئمّه الكفر وأشياع الضلالة فى محوه وتطميّسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً وأمره إلّا علوّاً)) (١). تنبيه: أمّ أيمن فى الحديث تعدّ من الثقات جدّاً، وهى المنعوتة فى لسان النبىّ

ص: ١٠٠

أنها امرأة من أهل الجنة، وفيما أخرجه المناوي عن ابن عساكر قوله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((أم أيمن أُمِّي بعد أُمِّي)).

احاديث في نجد و شروره

ومنها: مارواه حجة الإسلام السيد العلامة صدر الدين الحسيني العاملي الكاظمي، عن شيخ الإسلام أحمد بن زيني دحلان في كتابه «خلاصه الكلام»، رواه عن النبي أنه قال: ((سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيره العرب من فتنته)). ويؤيد هذا الحديث في ذم نجد باعتبار أهله، أحاديث رواها أهل الحديث، تكون جواباً عن اعتذار العالم النجدي للعراقى عن الصحيحه التي رواها البخارى عن ابن عمران: ((هنالك الزلازل والفتن، وفيها يطلع قرن الشيطان)) (١). ومثله ما رواه في الصحيحين عن أبي هريره عنه أنه قال: ((رأس الكفر نحو المشرق، والفتنه ههنا حيث يطلع قرن الشيطان)) (٢) وغيرها. فاعتذر عنهما: بأن ما ورد في ذم نجد ممّا لا يوجب الرمي به أهله: فمنها: ما رواه في «شرح السنّه» بإسناده عن عقيب بن عامر، قال: ((أشار رسول الله بيده نحو اليمن، وقال: الإيمان يمانى ههنا، إلا أن القسوه وغلظ القلوب في الفدادين، عند أصول أذنان الإبل، حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعته ومضرة)) (٣).

١- صحيح البخارى ٢/٢٣ و ٨/٩٥، مسند أحمد ٢/١١٨ و ١٢٦، وسنن الترمذى ٥/٣٩٠.

٢- صحيح البخارى ٤/٤٦ و ٩٣، و ٥/١٢٢، و ٨/٩٥، وصحيح مسلم ٨/١٨٠، ومسند أحمد ٢/١٨ و ٧٢ و ٩٣ و ١١١.

٣- صحيح البخارى ٤/٩٧، وانظر ٤/١٥٤، و ٥/١٢٢، و ٦/١٧٨، وصحيح مسلم ١/٥١، ومسند أحمد ٢/٢٥٨، و ٢/٢٧٠ و ٢٧٢ و ٤٠٨ و ٤١٨ و ٤٢٦ و ٤٥٧ و ٤٨٤ و ٥٠٦، و ٣/٣٣٢، و ٤/١١٨، و ٥/٢٧٣.

ص: ١٠١

ويؤيده: حديث عُيَيْنَه بن حصين يوم عرض الخيل، وذلك لما أغضب النبي بما مدح به النجديين، فغضب حتى ظهر الدم في وجهه فردّ عليه بقوله: ((كذبت، بل الجفاء والقسوه في الفدّادين أصحاب الوبر ربيعه ومضر، من حيث يطلع قرن الشمس...)) إلى قوله: ((لعن الله الملوكة الأربعة جمداً ومخوساً ومشرحاً وأبضعه وأختهم العمّودة)) (١) الحديث. وقد أخرج المناوي بعض هذا الحديث في «الكنوز» عن الدار قطنى (٢) عنه ((عليه السلام)) قوله: ((الجفاء والقسوه وغلظ القلوب في الفدّادين)). وليكن هنا آخر كلامنا من هذه الرسالة. والحمد لله رب العالمين (٣).

١- مسند أحمد ٤/٣٨٧، والمستدرک على الصحيحين ٤/٨١، ومجمع الزوائد ١٠/٤٣، وكنز العمال ١٢/٥٤.

٢- الكنوز للمناوى ٦٧ الكافى، لابی جعفر الرازى ٨٧٠.

٣- الفدّ: صوت الحدى للإبل، كُنِيَ به عن الجمالين من أصحاب الإبل. أصحاب الوبر: أهل البوادي، فإنّ بيوتهم يتخذونها منه. قال الجوهري: قرن الشمس أعلاها، وأول ما يبدو منه في الطلوف والمراد منه شرقيّ المدينة. قال الفيروز آبادى: مخوس كمنبر ومشرح، وجمد وأبضعه: بنو معدى كرب، الملوكة الأربعة الذين لعنهم رسول الله ولعن أختهم العمّودة وفدوا مع الأشعث، فأسلموا ثم ارتدوا، فقتلوا يوم النجير فقال نائحهم: يا عينُ إبكى للملوكة الأربعة ++ جمداً ومخوساً مشرحاً أبضعه ونجد: يطلق على نجد برق، ونجد خال، ونجد الثراء، ونجد عفر، ونجد العقاب، ونجد كب كب، ونجد اليمن. قال ياقوت الحموى: وبعض نجد اليمن في شرقيّ تهامة، وهى قليلة الجبال مستوية البقاع، ونجد اليمن غير نجد الحجاز، غير أنّ جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالى نجد اليمن، وبين النجدين برّيه ممتعه. «معجم البلدان».

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمتقنين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرنا أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعة إلكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمتقنين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتيّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩